

سامر الياس سعيد

# ملاحم وقضايا في الاعلام السرياني



٢٠١٧

اسم الكتاب : ملامح وقضايا في الاعلام السرياني

المؤلف : سامر الياس سعيد

التصميم والاعراج الفني : غازي عزيز التلاني

الطبعة الاولى - ٥٠٠ نسخة

طبع الكتاب في مطبعة هاوار في دهوك

رقم الايداع في مديرية المكتبات العامة في محافظة دهوك

(٢١٨٥) لسنة ٢٠١٧

لوحه الغلاف للفضان التشكيلي احمد العزاوي

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب

او تخزين مادته او نقله على اي وجه

او بأي طريقة الكترونية كانت او ميكانيكية او بالتصوير او

التسجيل الا بموافقة المؤلف

# ملاحق وقضايا في الاعلام السرياني

سامر الياس سعيد

٢٠١٧



## الاهداء

الى ارواح الذين سفكوا دمائهم من اجل

الموصل لتحريرها من الظالمين

وكانت اخر انفاسهم في هذه المدينة

لنتطلق ارواحهم نوارسا تمانق كل حاضرة

بمدينة الانبياء

## **تتكر وامتنان**

اتقدم بالشكر والامتنان للجمعية الخيرية الاشورية  
في دهوك ممثلة برئيسها اشور سركون اسخريا  
لتحمل نفقات طبع الكتاب

## مقدمة المؤلف

هذا هو الكتاب الرابع لي (شخصيا) في محنة النزوح والابتعاد عن مدينة الموصل، وربما كانت تلك المحنة، واجوائها بمثابة، الدافع لي في تقديم هذه المؤلفات التي تتمحور، حول مناخات المحنة وقساوتها وغرابتها، من خلال قلع جذور مكون عاش على ارض مدينة الموصل بألاف السنين ليجد نفسه بين ليلة وضحاها، بعيدا عن تلك الارض الذي منحته كل شيء، فكل المؤلفات التي قدمتها ابان محنة النزوح، كانت ردود افعال، لفعل تجلى ليدفعني الى تقديم المؤلف، وتبيان الاسباب الموجبة لبلورته، ف فيما يتعلق بكتاب (العمق التاريخي للمسيحية في مدينة الموصل) والذي صدر ضمن منشورات ديوان اوقاف المسيحيين والديانات الاخرى في خريف عام، ٢٠١٤ كانت الغاية منه، ابراز الدور الريادي لمسيحيي الموصل واستجلاء الغموض الذي بقي متزامنا، مع اية اشارة يمكن ان تستهدف كنيسة موصلية، من خلال ما يتعلق بتاريخها وموقعها او اي معلومات خاصة بها..

واردت من خلال الكتاب المذكور ان يكون مصدرا متاحا لكل من يتحدث عن المسيحية في مدينة الموصل، ولا داعي لان اقول بان الكتاب اصبح ردة فعل ثقافية، ازاء ما جرى لمسيحيي الموصل، من طرد تعسفي على ايدي عناصر تنظيم الدولة الاسلامية، في صيف العام المذكور..

وهذا فيما يختص بهذا المطبوع، اما فيما يتعلق بالمطبوع الثاني والذي صدر في خريف عام ٢٠١٥ فكان يستهدف توثيق ما جرى لمسيحيي الموصل عبر حكايات اردت من خلالها ابراز ان تنظيم الدولة الاسلامية لم يفاجئ المسيحيين بصورة خاصة او اهالي المدينة حينما سيطر على مدينة الموصل في حزيران من عام ٢٠١٤، حيث كان مسلسل الاستهداف مستمرا بالكثير من الشواهد والمحطات التي وقفت عندها، وبرزتها في الكتاب الذي حمل عنوان (حكايات لبدتها الغيوم) والذي صدر عن المركز الثقافي الاشوري في دهوك..

فيما كان المطبوع الثالث، عبارة عن رواية قصيرة (نوفيلاً) كانت تحت عنوان (مولود في اكيثو)، ولجت من خلالها عالم الادب وجنس الرواية بالتحديد، وارتدت ان اسلط الضوء من خلال هذا المنفذ الذي بات حيويًا وكثيفًا على محنة ابناء شعبي، خصوصا في مدينة الموصل، حينما استنبطت تجسيد قصة حب في اثر مسيرة، مرتبطة بالأول



من نيسان حيث راس السنة البابلية الاشورية التي تعرف بـ(اكيثو)، لأتحدث من خلالها عن شاب وفتاة يتعارفان لتتنا قصة حب بينهما ويسرد كل واحد منهما حكايته مع الالام والمعاناة التي عاشها في مدينة الموصل، قبل ان تسقط في ايدي عناصر التنظيم ليكون مصير الشاب الغرق في بحر (ايجة)، بعد ان يقرر المغامرة ببلوغ بلد يعيش فيه، مع حبيبته التي اصبحت زوجته وطفله الذي سيستقبله، بكل الاستقرار الذي تمنى مسيحيو مدينة الموصل واقرائهم من مسيحيي نينوى ان يلمسوا ولو جانبا ضئيلا منه دون ان يتمكنوا من العيش بسلام واستقرار طيلة عقود من الزمن..

اما هذا الكتاب الذي بين يديك (عزيزي القارئ) فهو، يستهدف نقد وسائل الاعلام الخاصة بأبناء شعبنا، وبلورة افكار جديدة بما يتلاءم مع ثورة الاتصالات، وتقنية تداول المعلومات خصوصا، وان محنة النزوح افرزت اعدادا هائلة ممن استقروا خارج الوطن، وباتوا يبحثون عن اي منفذ مناسب، للتواصل مع اقرائهم، ممن فضلوا الاستقرار وتكبد المعاناة، قبل ان تبلغ مطامحهم، افق العيش باستقرار وامان، بعيدا عن كل ما يعكر صفو تلك الحياة..

وقد عاشت معي، افكار الكتاب طيلة الثلاثة اعوام السابقة، متأملا بالكثير من الاخبار والتحقيقات التي ابرزتها وسائل الاعلام لأجد قصورا كبيرا بتلك الوسائل

عن طريقة ايصالها للمحنة التي عاشها ابناء شعبنا، فارتأيت ان يكون مستهل الكتاب فذلكة تاريخية تقارن بين تبلور صحف استأثرت بمفردة التاريخية كونها كانت من اوائل الاصدارات التي عنيت بتسليط الضوء على المكونات المسيحية، الا ان الامر الذي واجهني، هو محنة المصطلحات التي يمكن ان استخدمها، فبين وصفي للإعلام المسيحي (على سبيل المثال) سيتوارد للأذهان انني اقصد المطبوعات التي تصدرها المؤسسات الدينية، والتي غالبا ما يكون محتواها الرئيسي روحيا بحثا، يتناول من خلاله المشرف على تلك المطبوعة، نشر مواضيع دينية، وربما هنالك مساحات لكنها يسيرة، بشأن تداول الشأن العام المختص بحياة المسيحيين في المجتمع والذي غالبا ما يكون مرهونا، بالراهن الذي يعيشه المسيحيون، ليلقى صدى التداول والنقاش على صفحات هذه المطبوعة او تلك، لذلك اثرت الاشارة من خلال عنوان الكتاب الى الاعلام السرياني، والذي واجه الكثير من التحديات، رغم انه اصبح في مركز الاضواء لتداوله اخبار هذه المكونات، عن طريق استحداث منافذ جديدة، ربما تكون مصدرا مهما للباحثين والمفكرين في الاشارة لقضايا المسيحيين، من خلال تلك المنافذ سواء عبر الفضائيات او المواقع الالكترونية، او ربما الصحف التي واجهت خلال محنة النزوح، انحسارا

غريبا وغير مألوف، لدواعي تشتت ابناء شعبنا وعدم امكانية توزيع تلك المطبوعات على ضوء هذا الامر..

اما فيما يتعلق بالفصل الثاني من الكتاب، فكانت الغاية الرئيسية ان اصدره بكتاب مفصل في بداية الامر، لكنني وجدت ان ابرازه ضمن القضايا المتعلقة بالإعلام السرياني، اصبح امرا واجبا، فالشخصية المسيحية التي برزت في جنس الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ جعلتني اعزو اسباب ضعفها وارتباكها، نسبة لمن كتب عنها الى خانة الاعلام، الذي لم ينجح عموما في ابراز الشخصيات المسيحية، وقدرتها على ادراك الفارق في مجتمعاتها، بغض النظر عن نزيف الهجرة الذي عانت منه على مدى عقود من الزمن، فبقيت الرواية التي اشرنا اليها تلتفت لشخصيات مرتبكة وملتبسة ومسكونة بالهواجس والمخاوف، رغم انه حتى قبل سيطرة تنظيم الدولة الاسلامية بشكل فعلي وعلني على مدينة الموصل، كانت هنالك شخصيات مسيحية تمارس حياتها بشكل اعتيادي، دون ان تكون نسخة من تلك الشخصيات الهزيلة التي عبرت عنها افكار بعض من الروائيين، بل حتى محنة طرد مسيحيي الموصل من مدينتهم لم يلق ذلك الصدى المطلوب، لالفاظ الراي العام عما يواجهونه بسبب تقصير الاعلام في ابراز تلك المأساة بالشكل المطلوب ..

اما فصل الكتاب الثالث، فيتحدث عن مواقع بديلة يمكن ان تلعب دورا رئيسيا في التواصل بين مسيحيي البلد او من استقروا خارجه، وهي محاولات وافكار ربما تناولته في مناسبات عدة لكنني بقيت اتحين الفرصة لإبرازها في اية جلسة نقاشية، يمكن من خلالها الاشارة الى دور الاعلام بمد جسور التواصل وعدم بترها ما بين مسيحيي العراق، اذا ما فكروا بترك البلد او الاستقرار في بلاد اخرى يجدونها بديلة عن بلدهم الاصل..

ومثلما اثرت قضية البحث عن مواقع بديلة من اجل جسور التواصل، فان الفصل الرابع من الكتاب، يتيح للقاري المهتم الاهداف والرؤى المتبلورة من تلك الافكار التي ابرزتها في جولة عبر فصول الكتاب، الذي ابتغيه ان يكون مصدرا هو الاخر للمهتمين بالدراسات الاعلامية بغية تفعيل دور الاعلام السرياني، وجعله ليس اداة تداولية للأخبار والحقائق والآراء فحسب بل يعمل على انعاش دور اللغة لتكون متاحة امام المكونات الاخرى ..

في الختام، لا يسعني الا ان اقدم شكري للأستاذ الفاضل (داؤد الشماني) لتوليه مهمة تدقيق الكتاب لغويا، فضلا عن مهمة اخرى اضطلع بها الزميل والاستاذ الاعلامي (بهنام شابا شماني) في مراجعة مسودة الكتاب وابداء ملاحظاته الاكاديمية حولها، كما لا يسعني الا ان اقدم وافر الشكر

والتقدير للمصمم المبدع (غازي عزيز التلاني) الذي لم تقف المسافات الشاسعة التي تفصلني عنه وهو بمستقره بالعاصمة الاردنية (عمان)، الا ان يضع لمساته المبدعة على واقع الكتاب فضلا عن جهود الفنان التشكيلي (احمد العزاوي) في تقديم لوحته، كغلاف للكتاب ..

سامر الياس سعيد

دهوك ١٥ تموز ٢٠١٧



## **الفصل الاول**

# **الصحافة السريانية في بداياتها .. محطات تاريخية**





أبرز الإعلام السرياني بوجه عام تطلعات المكونات التي تتداول لغته، عبر إبرازه لأرض الواقع خصوصا مع انطلاقة الجريدة الاولى والتي ترجمت الكثير من المتطلبات التي كان يحلم بتحقيقها هذا الشعب، وارتهن امر بروز هذا اللون من الصحافة الورقية وتجسيده لأرض الواقع نسبة لتأخر الركون للمطابع التي تعد المرتكز الاساسي لبلورة الصحافة، وهي التي منحتها اشارة الانطلاق نحو افاقها، ومع ذلك لم يخف على المتابع مدى تأثير انطلاقة الصحافة السريانية بمحيطها او بيئتها الشرقية خصوصا وان اغلب متكلمي اللغة كانوا مشتتين في اتجاهات مختلفة، مما عزز صدور اول صحيفة ناطقة باللغة السريانية وتدعى (زهري دبهرا) والتي تعني باللغة العربية (اشعة النور)، حيث صدرت في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ١٨٤٩ في مدينة (اورمية) بأيران، والتي كانت وتيرة اصدارها تجري بشكل شهري، ثم تحولت فيما بعد للإصدار نصف الشهري وبأربع صفحات حيث كانت تلك الجريدة اقرب الى المجلة، لما تضمنته من اخبار محلية وعالمية، فضلا عن مقالات تعليمية، عن اللغة والادب والجغرافيا الى

جانب قيامها، بنشر التعاليم الدينية والتبشيرية بالدين المسيحي، حيث تزامن صدور تلك الصحيفة مع بدء مرحلة المبشرين القادمين الى بلاد الشرق، وترأس تحرير الصحيفة الدكتور (بينامين لباري) وساعده في التحرير (ميرزا شموئيل) لتستمر هذه الصحيفة بالصدور، حتى قيام الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤..

ومع هذه النبذة الوجيزة، التي تحدثنا من خلالها عن اول صحيفة سريانية، فأنها مثلت بكونها حملت شهادة الريادة، اثرا ثقافيا ودينيا بارزا في ثقافة هذا المكون وحضارته، لكنها مع ذلك لم تنجح في ابراز الاندماج مع ما شهده العالم في تلك الفترة من مستجدات، لكنها في الوقت ذاته، عززت دورا رئيسيا ببناء الثقافة الخاصة، والذي مد جسور التواصل مع ما ابرزته تلك البصمات الخاصة بالمكون المسيحي، من حضارة فكرية ظلت قائمة وبارزة على جميع الاصعدة، وقد ذكرنا سلفا بأنها (الجريدة)، ظلت تراوح بمكانها دون ان تحقق الاندماج المطلوب مع بيئتها، وهذا ناجم من تشتت الناطقين باللغة وتفرقهم، في اكثر من موقع ومكان، الامر الذي حتم على الجريدة، توجيه بوصلة التوزيع والانتشار الذي ظل محدودا، بسبب نشوء الجريدة وسط بيئة تختلف عن بيئة من ابرزوا طريق الاعلام، ليسلكوه وليحققوا من خلاله، نقطة الانطلاق المطلوبة..

فقد اكد المؤرخون على اهمية مفهوم التاريخ في تناول المجتمع بناءا على ما حققوه بالتنقيب في طوايا حياة ابناؤه وافكارهم ومدى ارتباط تلك الافكار بمعيشتهم ووقائع حياتهم اليومية ثم ربط تلك العلائق، بسيرة الانسان في الارض وجهوده المتواصلة لرفع شأنه في سلم الحضارة من جميع نواحي ومجالات الحياة سواء اكانت الاقتصادية والعلمية والفكرية ومدى ارتباط تلك المجتمعات من جهة الماضي والحاضر وربط تلك الارتباطات بالمستقبل ..

وفي الوقت الذي كانت فيه المجتمعات، ساعية لمواكبة التطورات الحاصلة في تلك الفترة خصوصا، بما يتعلق بمسألة النشر والثقافة فان المسلمين، رغم انطلاقتهم المعروفة بميادين الكتابة والتأليف والترجمة في العهود التي اصدوا فيها، فان هذا الدور اضحى مغيبا في الفترات اللاحقة من خلال رؤية دينية مغايرة لأمر المطابع التي كانت تعمل بأقصى طاقتها لرفد العلم المعرفي لدى الشعوب والمجتمعات، حيث كانت هنالك فتوى في عهد الدولة العثمانية تحرم انشاء المطابع، وقد كانت الدولة العثمانية تعيش ازهى فترات بسطها لسيطرتها على مساحات شاسعة من الشرق الاوسط، فأصابها تلك الفتوى مقتلا بتأخير انتشار بصمات الثقافة من اصدار الكتب والنشريات ولاسيما الصحف والمطبوعات، حتى تراجعت الاذهان عن

العمل بتلك الفتوى، فظهرت بناء على ذلك الامر، اولى المطابع بمدينة (اسطنبول)، وذلك في العام ١٧١٢، رغم ان في ذلك العام المذكور كانت قد مرت على ابتكار المطبعة واختراعها ما يزيد على قرنين ونصف القرن، وبعد ان انشأت فرنسا مطبعتها الوطنية بذلك التاريخ المذكور، بنحو قرنين بالتمام والكمال ..

وبناء على هذا الامر، فان انعزالية الثقافة وتبلور الصحف، جاء تحت وطأة الاستعانة بالمطابع، وانعكس ذلك على اوضاع الثقافة الخاصة بالشعوب التي تعيش في تلك البلاد او التي تخضع لسيطرة العثمانيين، ولم يكن الواقع الثقافي المعزول، الا امرا مبهما نتيجة لكون الثقافة (بحسب المؤرخين)، تعني وجودا حقيقيا وكائنا عضويا، يماثل الحضارة العامة التي تعبر وتمثل الروح، بمعنى ان الابداع ينطلق من روح الانسان ليخاطب الفكر، مثلما ان الروحية تبدو مختلفة ما بين حضارة واخرى، تمام الاختلاف سواء بجوهرها او اسلوبها وممكنات وجودها ..

ان تجسيدنا لمحطات الاعلام السرياني، في ابراز اول صفحة ورقية، ترتبط بصحافة باشرت اولى خطواتها، فذلك لا يمنعنا بأي حال من الاحوال، في التمعن بالتجارب التالية التي اطلقها اصحابها، من اجل سلوك ذات المسيرة التي سلك خطواتها الاولى، كل من (بينامين لاباري)

ومساعده (ميرزا شموئيل)، عبر اطلاقهما للصحيفة المعروفة بـ (زهري دبهرا) التي يمكن ان نعتبرها نقطة الانطلاق، لصحف اخرى ارادت ان تكون نقطة بدايتها وتفردها توظيفها للغة السريانية ..

ومن تلك الصحف صحيفة اخرى اطلقت عددها الاول في العام التالي اي في عام ١٨٥٠ وكانت تحمل اسم صحيفة (سوادايا) وكانت باللغة (الاشورية) المبسطة، واشرف عليها بادل خانكالي واعتبرها المؤرخون وسيلة مهمة لنشر الثقافة باللغة المذكورة حيث ذكر عنها كتاب (تاريخ الاثوريين) بجزئه الاول، والذي وضعه الباحث السوفيتي (ك. ما تفنييف) والذي صدر بترجمة عربية من قبل المترجم (اسامة نعمان)، وكانت الصحيفة المذكورة بحسب المؤرخ السوفيتي المذكور اداة لتعزيز العلاقات بين الشعب (الاشوري) والشعوب المجاورة (على حد وصفه) ..

وتوالت الصحف في الصدور، لتعزز النهضة الثقافية ولتعتبر، من خلال تلك المنابر الاعلامية عن ادوات الثقافة المهمة التي بات يضطلع بها الكتاب والادباء، وبرزوا من خلال كشفهم الستار عن مواهب نقدية وادبية، فضلا عن جماهير عريضة اسهمت بمتابعتها ومواكبتها لتلك العناوين، والتي اصبحت ايضا وسائل مهمة للتوثيق وارشنة

الازمنة واجلاء الغموض والالتباس، الذي لحق بتاريخية هذه الشعوب وتقاليدها وخصوصياتها، والتي انشأت حاجزا من الغموض، رغم تعايش هذا الشعب مع الشعوب الاخرى، مما عزز الكثير من الاوهام والحكايات الغامضة نتيجة غياب مثل تلك العناوين والوسائل الاعلامية المطلوبة ..

وهذا الانطباع الاخير، شابه الكثير من الصعوبات، من خلال عدم معرفة البنية الاجتماعية والطبيعية والسكانية، والتي كانت تلك الوسائل تؤشرها وتتيحها، فضلا عن قدرة الوسائل الاعلامية على تحديد قرائها من الملمين بمعرفة تلك اللغة، مقارنة بأقرانهم ممن لم يتقنوا تلك اللغة، حيث تأثروا ببيئاتهم المحيطة بهم، ولم يتمكنوا من الالمام بلغتهم الام، واصبحت تلك الفئة بمواجهة الكثير من التحديات التي استنبطتها فرصهم القليلة، بإتقان اللغة والالمام بحروفها، وبالتالي ابراز حرفية التمكن بالقراءة والكتابة، التي تسهم في انتشار مثل تلك المطبوعات، رغم ان سؤال الانتماء يحمل بعدا فلسفيا، اذا طرح بهذا الشكل، وليس بصيغة السؤال الاشكالي بوصف سؤال الانتماء، يمثل ايضا سؤالا وجوديا ويرتبط بالهوية والابداع بما يوصف انشغالا فرديا على مستوى اللغة والتعبير الادبي وجماليات التصور..

فقد مثل طرح مثل هذا السؤال فرصة لإبراز التحديات التي اوردناها في سياق السطور السابقة بشأن الانتماء وتحدياته وتأثيراته المطلوبة من اجل اذكاء روح الادب والثقافة بشكل عام..

ومع بروز صحف ذات رؤية مثقفة وذات التزام كبير بإبراز قضاياها، مثلما تبنت هذا الامر الصحيفة السريانية الاولى والتي حملت من خلال صدورها، اسئلة ثقافة العالم المعاصر من جهة وهموم الانسان بتعبيرها، عما كان يجري في محيطه الجغرافي من جهة اخرى، ولكن ومع كل تلك المؤشرات التي ابرزناها، فإنها لم تشكل ذلك الهم الجغرافي الذي كان يحس به قراء هذه الصحيفة، الا من خلال هاجس الانتماء بوصفه مسألة شائكة تتضمن ترجمة الكثير من المواجهات وعلى مختلف المستويات سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، خصوصا مع بروز دور الصحافة في اشاراتها حول الازمات النفسية والشخصية التي كان يعيشها العنصر المُستقبل للطروحات الفكرية، التي تقدمها هذه الصحافة، وما كانت تسعى لمخاطبته بغية اثاره العلاقة الفاعلة التي تربط القارئ، بمحيطه والسعي من وراء ذلك لاكتشاف نواة الانتماء التي تحكم وجوده ..

ومثلما عززت اسئلة الانتماء، ذلك الحضور الوجودي، فإن تلك الصحافة كانت بمواجهة افة تستهدف الابداع ومحاربة كل ما يؤطر مشهده، بسبب ما قد يجده المرء مما دونه من ادبيات حتى صارت مثل تلك الادبيات بمثابة عقبة كأداء تحول دون الاستمرار بدوره، فقد عبر الشعراء -على سبيل المثال - عن تلك المحنة بشكل رمزي، ومنهم من عاش زمن انهيار الحضارة الصينية فعبر عنها احد الشعراء المرتبطين بتلك الحقبة قائلًا حول هذا الامر كمثل من يقوم على اطراف اصابع الرجلين، فلا يقف ثابتا، ومن يمشي بأطول الخطى لا يمشي اسرع سيرا، ومن يتباهى بما سيفعله، لا ينجح في شيء، ومن يفتر بعمله لا يحقق شيئا يدوم ..

وبهذه الكلمات التي اوجزها الشاعر الصيني، يمكن لنا ان نستجلي كنه الثورة، وحجمها الذي صاحب انطلاق مثل هذه الصحف في بيئاتها، مثلما وجدنا ان هنالك الكثير من الافاق الابداعية قد واجهت مصاعب ومعوقات في خطوات انطلاقها الاولى، ابان تجدد الظروف، في الوقت الذي استنفذ فيه المبدع اي فرصة له، في تقديم ما يلبي طموحات المجتمع المحيط به، الا ان يستعيد نغمة الماضي ..

بينما يرى ان كل الاحتياجات تتجدد، وهكذا تصبح بعض الاطراف من مبدعي ذلك الزمن السابق من اشد



معارضني قيام حركة اخرى، تستهدف الارتقاء بالشكل الابداعي لمحاور الثقافة، ومن بينها المحور الاعلامي، ولذلك برزت الفكرة في ان يكون مجال مواكبة التكنولوجيا جامدا بافتتان الجيل القديم بما كان له، من سر التمسك بأداة تفوقه مما يدعوه للافتتان به مما يجعله متقولبا عند تلك النقطة، دون السعي بشكل فعال لمواكبة درجات التطور ..

ومثلما جير القائمون على الجريدة السريانية الاولى، اداتهم الاعلامية في نشر التعاليم الدينية والتبشير بالدين المسيحي، تزامنا لما ذكرنا ببدء مرحلة المبشرين القادمين لتلك الديار، فقد كان دخول السريان لميدان النشر في العراق من هذه البوابة عبر اصدارهم لصحفهم ومجلاتهم حيث (اقتحم) مع شديد الغرابة، باستخدام مثل هذه المفردة التي اطلقها المؤرخ المتخصص بالشأن الصحفي والاعلامي الدكتور (فائق بطي) عبر المقدمة التي استهل بها كتابه المعنون (موسوعة الصحافة السريانية في العراق /تاريخ وشخصيات) والتي اصدرها في اربيل عام ٢٠١٣، حيث ذكر الكاتب المذكور، ان الاباء الدومنيكان قاموا (باقتحام) مجالات الثقافة والصحافة، من باب الاعتزاز والمقدرة لتولوج ميادينها، وليس لاغراض اخرى، كما وصفها (بطي) بارادة المحتل البريطاني والفرنسي، مواصلا حديثه عن تلك المؤشرات التي جسدها

الآباء الدومنيكان بأول أعمالهم الصحفية، من خلال اصدار مجلة (اكليل الورود) في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٢ اي قبيل الانقلاب الدستوري العثماني في عام ١٩٠٨ حيث عالجت المجلة المذكورة بإصدارها، المواضيع الادبية والاجتماعية والعمرائية مثلما كانت تلك المواضيع، الهم الرئيسي الذي تضطلع بإبرازه، المجالات العراقية في باكورة اصداراتها، فضلا عن الاهتمام بالأمور الدينية، بما يتعلق بالمجلة الخاصة بالآباء الدومنيكان وتوجههم لإرشاد وتوجيه المجتمع الموصلية ..

وما بين التجربتين الاعلاميتين المتمثلتين بـ(زهري دبهرا) كصحيفة اولى اهتمت بإشاعة الثقافة، وروحها المتحدة بالجانب اللغوي وما بين مجلة (اكليل الورود)، وخطها التوجيهي والارشادي، فان ابناء شعبنا توجستهم الارهاصات، خصوصا من خلال ما واجهته لغتهم الام من تهديدات واقعية، اشاحت وجهها عنها الحكومات التي عملت على اعتبار، مثل هذا الشعب في بيئته المستقر فيها، وكونه يمثل مكونا اقل عددا من الآخرين، دون وضوح الصورة الرئيسية، لما تمثله الثقافة القومية، من وجود وحضور ابداعي وادبي، وغير مرهون بخانة التراث التي يذكره في مناسبات محددة، او ليس بلعب دور محدد في ان تكون تلك اللغة الاصلية، مجرد وسيلة لتحقيق التواصل بها، او تأدية طقوسنا الكنسية، فيما نستخدم لغات اخرى بتواصلنا مع

العالم المحيط بنا، او لاكتساب معارف جديدة، او متابعة ما يحدث باستخدام وسائل الاتصال الحديثة..

وقد شكل مثلما ذكرنا، ان الفصل بين المجال القومي والمجال الخارجي، يمثل خطرا قائما في تهديد الهوية، لان الفصل يمثل خطوة لعزل تلك الثقافة، وتحديدها باطار ضيق لا تستطيع من خلاله، ان تنطلق الى افاق ارحب وتواصل الحياة لجانب ثقافات اخرى اكثر تقدما ولا تمكننا من منافستها ومواجهتها..

ونعود للمحطات التي اوردناها، بشأن الصحف الاولى في اوساط شعبنا، وما واجهته تلك الخطوات الاولى من عراقيل ومعوقات، فان اطلاق تلك الصحف شكل فرصا سانحة امام الكتاب والادباء، من اجل مزوجة التجارب التي لمسوها فضلا عن محاولات مهمة تحسب للمغتربين من الادباء، في سبيل اذابة جليد الابتعاد عن مناطقهم للمجتمعات التي استقبلتهم، فكانت ابداعاتهم فرصة في التعريف بثقافتهم التي اغتنوا بها في مواجهة خطر الاذابة في المجتمعات الجديدة، من اجل عدم فقدان فرص التواصل مع ثقافتهم واحيائها في بيئاتهم الجديدة، واعادة نبضها في تلك البيئات، من اجل ضمان توريثها للأجيال القادمة، فهذا هو ديدن الحياة ..

ومثلا برزت الصحيفة السريانية الاولى في بيئة مختلفة وفي اوساط اغلبية لا تتقن تلك اللغة، فمثل تبلور (زهريري دبهرا) بجهود من اطلقها تجربة ذات ابعاد ريادية وتجربة فكرية دعت، لان يكون للإعلام السرياني ذات مسؤولية الالتفات اليه من جانب مواجهة الضغوطات الداخلية والخارجية، فالداخلية منها تتمثل في عدم استقرار الملمين باللغة ورغبتهم بنقل اشعاعات تلك اللغة عبر منافذ ثقافية جادة، لاسيما وان ما يأتي في اولوياتها دور الصحافة والاعلام، فان لمثل هذا الامر تقع المسؤولية على الافراد، ومن ثم الحكومات والمنظمات و المؤسسات المعنية باللغة، في ابراز جهودها من خلال تشجيع المطبوعات ذات الصلة باللغة، واصدار الصحف التي تتناول تلك الجهود وتنميتها في سبيل الارتقاء بالواقع السرياني ..

وفي هذا المجال، تبدو المقارنة واردة في توجه بعض النخب لتعلم لغات اخرى غير لغتهم الاصلية حتى الوصول الى مراحل متقدمة من تلك اللغات، وكل هذا الامر يجري على حساب لغتهم الاصلية، ورغم عراقلة شعبنا واصالته كونه من الشعوب الاصلية التي استقرت في بلاد ما بين النهرين، فان واجب المحافظة على موروثاته وتراثه تواصل مع اسلافه يعد امرا حضاريا، لذلك يوجه احد خبراء اللغة السريانية وهو (الاب شليمون ايشو خوشابا) من خلال مجلة اوبقا (الافق) بعددها ٣٤ والصادر لشهري تموز ايلول ٢٠٠٩،

نداء بعدم التقاعس بتعلم وتعليم اللغة القومية، وان يسعى شعبنا من جراء ذلك للمحافظة على تراث ابائه ونشره وازافة ما ينسجم وعراقة الشعب الذي ينتمي اليه، ليبقى اسمنا مسطرا في لوح بلاد الرافدين بأحرف من نور الحضارة التي ينتمي اليها، والتي هي ام الحضارات..

ويواصل الاب خوشابا حديثه للمجلة المذكورة بالإشارة الى انه من العيب ان تحكم نخب من ابناء شعبنا، اصول لغات كثيرة وهو لا يفقه من لغته شيئا، رغم انه من الجيد ان يتعلم هذا المرء لغات اخرى، ولكن عليه اولا ان يحكم معرفة لغته القومية، ولغة كاللغة السريانية العريقة والغنية بتراثها جديرة بالتعلم، ثم انها الاصرة الاقوى التي تربط ابناء شعبنا في كل المعمورة التي ينتشر فيها ابناء السريانية..



## **الفصل الثاني**

# **صورة الشخصية المسيحية في الثقافة العراقية (الرواية انموذجا)**





لعل اهم نموذج، يمكن ان نستقيه من خلال ضعف الاعلام السرياني، في تأطير صورة مكوناته وترسيخها في المجتمع العراقي، من خلال البناء الروائي والسردى، في ظل ما برز في الابداعات الادبية التي دونها العديد من الكتاب سواء في مجالات الادب، ولعل المجال الروائى هو الميدان الاكثر بروزا وتأثيرا في الحديث عن نمطية الشخصية المسيحية التي ظهرت بكتابات الادباء والروائيين بشكل خاص، من خلال معاشتهم واطلاعهم على المدونات التاريخية والتراثية التي استقوها، والتي مثلت مصادر توثيقية واعلامية، مما عزز مسألة القلق الروحي الذي يعترى المسيحيين، وهم يدورون حول معنى المصير الانساني الذي يحكم وجودهم و حاضرهم فضلا عن استشراف مستقبلهم في البلد، ففلسفة الرواية التي اخترنا نموذجها، بالنظر لحكمتها في استشراف المستقبل، فالكثير من الروائيين اسهموا بإعطاء تصوراتهم للمستقبل، عبر الاعمال التي قدموها من خلال الحديث عن تلك الانطباعات في الرواية التي اصدروها، ومنها على سبيل المثال رواية

(١٩٨٤) الشهيرة للكاتب البريطاني المعروف (جورج اورويل)..

لكن في المقابل، فنظرة الروائيين العراقيين وعبر معظمهم، ابرزت نمطية تقليدية للشخصية المسيحية، تمت وفق لغة ازدراء وسخرية بشكل غريب، لذلك ليس من المستبعد ان يشير هذا الروائي الذي مرر مثل تلك الصورة غير مفهومة على انتهاج (مفهوم) بان اكثر التاريخ المدون، ما هو الا مجموعة من الاكاذيب، وليس بخاف على اي متابع، ما ابرزه التمثيل السردى للرواية العراقية، التي عالجت ارهاصات المجتمع العراقي، ما بعد عام ٢٠٠٣ وما اعترى هذا المجتمع من تغييرات ملموسة ومعطيات غير مجسدة سلفا، لذلك استحالت سبل المقارنة مع ما سبقها، او تحديدا ما سبق العام المذكور، فلا يمكن الا ان تخضع تلك النماذج الروائية والشخصيات التي تحدثت عنها الروايات، لكي تفعل الحراك السردى الجديد المعتمد على التعايش او الاعلام، او على شكل تقاليد، تحكم تلك الشخصيات..

ولعل ردة الفعل التي ابرزت تلك الدوافع، منبثقة من دور الاعلام في توظيفه لتعريف الشخصيات المسيحية وابرازها كأحد الشخوص الرئيسية في المشهد الروائي، من خلال اعتماد الروائيين على المشهد الاخباري وشريط الاحداث المتتالية، ومن ثم تفعيل ذلك الحضور المسيحي

في تلك الاحداث التي كان من بينها مسلسل الاستهداف الذي جرى بحق هذا المكون وقراءته، بشكل يوازي حضور المكون ما بين ترسيخ جذوره وانتمائه في ارضه او محاولة تلك الاحداث تشكيل تهديد مستمر لهذا الوجود المسيحي من اجل اقتلاع جذوره ودفعه لاتخاذ خياره بالهجرة وترك البلد تماما ..

ولم تغب تأثيرات الطائفية التي ابتلي بها الوطن عن فضاء الرواية المنتجة ما بعد عام ٢٠٠٣، فاستأثرت تلك الكتابات المتمحورة في فلك الرواية والتي ابرزت هذا الهاجس في كتابات شتى من بينها ما اشار اليه (حيدر جمعة العابدي) حيث وضع كتابا نقديا تحت عنوان (الانساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣)، وفي الكتاب المذكور اشار الناقد العراقي المذكور، الى كشف وتحليل ابرز سمات الرواية العراقية الحديثة، مثلما سعى الكاتب للوقوف على الاثر الفعلي للنصوص الروائية على المشهد الروائي والواقع المرجعي الذي شكلها وساهم في انتاج انساقها المضمرة والظاهرة ..

واعتمد (العابدي) في الكتاب المذكور على اسلوب تحليلي وتطبيقي نقدي يكشف من خلال الاعمال السردية ما يتصل، وبشكل واضح بالحركة الروائية في العراق بعد ٢٠٠٣ في بعديها الفني والمرجعي، بهدف تأصيل مرجعها ..

فالكاتب يتخذ في دراسته الموسعة نحو (٢٠) رواية عراقية صدرت بعد عام ٢٠٠٣ ولم تغب تأثيرات الواقع الطائفي الذي انعكس على المشهد الاجتماعي العراقي، فابرز مبحثا من مباحث الكتاب في تأشير رواية الصراع الطائفي عبر صورة الديني والسياسي، متناولا في الكتاب المذكور الصراع الطائفي بمختلف الطرق والاساليب الادبية والفنية لما يشكله هذا الصراع من صدمة اتت على كل امل جميل في بلد مثل العراق ..

ومثلما ابرز هذا الكتاب تأثير الصراع الطائفي على المشهد الادبي، مما انتج روايات عراقية واقعية استمدت تلك الواقعية، بما حظي به المشهد اليومي من احداث ومحطات فان تأثيرات ذلك الصراع ايضا التفتت للمكون المسيحي، فقد كانت بؤرة الانطلاق الاولى من خلال ملف اعده (رونين زيدل) الاكاديمي في جامعة (حيفا) ونشره ضمن دراسات موسعة في كتاب شامل تناول المسيحيين في العراق، وصدر بهذا العنوان في عام ٢٠١٤، حيث اصدره الاكاديمي الناشط في شؤون الاقليات (سعد سلوم) ..

وكان هذا الملف الذي اعده (زيدل) قد حمل عنوان (المسيحيون في الرواية العراقية)، فقد عالج فيه الباحث، وفي مستهل البحث التدهور السريع لنطاق الامن بعد سقوط نظام صدام في نيسان (ابريل) ٢٠٠٣ مشيرا في سياق مقدمة البحث، الى جهود اثنين من الناشطين في مجال

الدراسات المختصة بالأقليات، منوها ببصمات كل من (سعد سلوم) و(دهام العزاوي)..

وركز الباحث (زيدل) على مضامين الجدل الفكري وتنوع الخطاب، في اوساط هذين الناشطين، وبالتالي انعكاس خلافهما الفكري على الجدل المحيط بالأقليات خصوصا في بيئة المجتمع العراقي، دون ان ينكر (زيدل) على هذين الناشطين اتفاقهما، على جملة من النقاط الاساسية، بتناولهما مأساة المسيحيين ومحاولتهما تقديم تفسير واضح للمأساة التي ابتلي بها هذا المكون بالتحديد.. ورغم ان مقدمة البحث لا تتفق مع صورة الموضوع الرئيسي الذي عمل عليه (زيدل) وهو عن الاشارة لتجسيد الشخصية المسيحية في الرواية العراقية لما بعد عام ٢٠٠٣، حيث يقول عن هذا الامر بالإشارة الى ان الكتابة، عن هذا المكون لم تشكل امرا محظورا قبل هذا العام بخلاف تسليط الضوء حول الانقسام السني الشيعي، وفي الصفحة ٤٣٨ من كتاب (المسيحيون في العراق) يذكر الباحث (زيدل) بان الكتابة عن المسيحيين كمسألة سياسية وتناول محنتهم ومأزقهم سواء قبل ام بعد عام ٢٠٠٣ اصبحت وفيرة بعد ذلك التاريخ (انتهى الاقتباس) ..

وقد ذكرنا سلفا، بأن اتخاذنا للرواية جاء لاعتبارات مهمة، ابرزها ما ركزت عليه الكاتبة (لطفية الدليمي) في اكثر من اصدار لها خصوصا النصوص التي ترجمتها عن

كتابات غربية ابرزت دور الرواية وتأثيراتها المجتمعية، ومن بين تلك الكتب كتاب (تطور الرواية الحديثة) فأبرزت (الدليمي) في مقدمتها الخاصة في الكتاب الذي صدر بطبعته الاولى عن دار المدى عام ٢٠١٦، اجابته عن سؤال (لماذا الرواية؟)، مشيرة الى ان الفن الروائي يكاد يكون الاشتغال المعرفي الوحيد بين الاشتغالات الادبية الذي طاله الارتقاء المتواصل بلا انقطاع الى جانب فن السيرة الذاتية الذي يمكن عده رواية ذات سمات خاصة وواصلت (الدليمي) في سياق تلك المقدمة لإيراد بعض الاسباب، التي تدفع بالرواية الى الارتقاء المستديم على كامل رقعة عالمنا وبين كل الجغرافيات البشرية حتى بات الامر يشكل علامة مميزة لها، ومن تلك الاسباب التي اوردتها تمثل الرواية كنوع من الذاكرة الجمعية المميزة لكل جغرافية بشرية..

وقد سلطت المترجمة الضوء على لعب الرواية دورا يماثل خزانة الحكايات التي تحفظ المزايا المجتمعية والانثروبولوجية لكل جغرافية بشرية، ويمكن من خلالها الاطلالة على العادات والتقاليد وانماط العيش وفنون الطبخ والازياء والملابس السائدة في كل عصر، الى جانب كل التفاصيل الحياتية الاخرى الخاصة بالحب والزواج والصدقة والرفقة والسفر وهذا تماما ما يتطابق مع نظرة الكتاب العراقيين في استحضار الشخصية المسيحية، كنوع

من الاشارة الى مجتمع تحظى فيه تلك الشخصية بحضور واسع تماما مثلما يبدو الحديث عن المجتمع الموصلي، وما ابرزته تلك الشخصيات والنخب في المجتمع المذكور حتى طغت بعض تسميات المناطق المرتبطة بدور العبادة المسيحية على بعض الاحياء كـ(حوش البيعة) او (قصر المطران) او (حاوي الكنيسة) لتتم الاشارة الى حضور موسع في تلك المناطق قبل ان يتبدد ذلك الحضور، ويتلاشى بسبب الهجرة وتأثيراتها العكسية ..

اما السبب الثاني الذي تستخلصه (الدليمي) في سياق الاهتمام المنقطع النظير بالرواية، هو ما تؤديه كجنس ادبي مماثل للوظيفة التي نهضت بها الاسطورة من قبل، وقد وصفت المترجمة العراقية المعروفة الرواية بكونها اضحت الفضاء الميثافزيقي الذي يلجا اليه الافراد للحصول على فسحة من فك الارتباط مع الواقع الصلب واشتراطاته القاسية ..

وقد اكدت (الدليمي) على ان الرواية اضحت البديل الاكثر جدارة وقدرة من الاسطورة التي ساهمت مع فنون السحر البدائية في تعزيز الصلابة الداخلية للفرد البدائي، وقد حاول الكتاب العراقيون توظيف الاسطورة في كتاباتهم في الاشارة الى ان الاسطورة تمثل تقليدا متوارثا يلتزم به اغلب المسيحيين في الاشارة لبعض الشخصيات الدينية، مثلما تتوارد تلك الاسطورة في منح القوة

والعزيمة لدى قديس تتوارد صورته وايقوناته وهو يهزم  
تنينا برمحه، كما في الصورة الحاضرة للقديس (مار  
كوركيس) او (مار جاورجيوس)، او في توظيف القصة  
الدينية في الرواية التاريخية والتي استلهمها الروائي  
(هيثم بهنام بردى) في حديثه عن القديس (مار بهنام  
واخته سارة) ..

ونواصل مع المترجمة (لطيفة الدليمي) في ايرادها  
علامات الرواية الحديثة وتأثيراتها، فتشير الى السبب  
الثالث المتلخص في كون الرواية عملا تخيليا يبدا  
بالمخيلة ويتطور داخل فضاءها، كما شددت الكاتبة على ان  
الرواية لعبة ذهنية، حيث يعمل الفن الروائي على اشاعة  
نوع منعش من الحيوية الذهنية والعبقرية، وهذا ما يتطابق  
مع فكرتنا بأن الرواية ستكون المجال الحيوي الذي يعمل  
على توثيق القضايا المصيرية تماما، كما تلعب الفنون  
الصحفية الحديثة من قصة خبرية او صورة معبرة عن  
واقع ما عاشه ابناء شعبنا من محنتهم الحاضرة، وقد تكون  
الرواية نفسها علاجا في حالات خاصة وهذا ما تبرزه  
الكاتبة (لطيفة الدليمي) في السبب الخامس من اسباب  
انعكاسات الرواية وتأثيراتها..

ولا يمكن انكار العامل السادس وهو ان الرواية تضحى  
معلما حضاريا وثقافيا تنهض به العقول الراقية في مختلف



الاشتغالات المعرفية، فضلا عن كونها جهدا خلاقا يرمي الى فتح افاق جديدة امام الوعي البشري والخيال الانساني.. ومع ان الرواية بحسب المترجمة (لطفية الدليمي) تعد في نهاية المطاف اداة ناعمة من ادوات العولمة الثقافية، ومن خلالها تشير (الدليمي) الى ان الملاحظة المؤثرة في تاريخ الرواية العالمية، تدعو الى اعمال فكر كبير اذ في الوقت الذي خدمت فيه الرواية الوعي القومي وتشكل ما يسمى الضمير الجمعي للامة وبخاصة ابان نشوء مفهوم الامة، فقد بتنا نرى الرواية تسلك اتجاهها روائيا معاكسا يميل الى عولمة الافكار والثقافات والاتجاهات الروائية بدلا من مركزتها في شكل استقطاب احادي اللون والنكهة الثقافية ولا تخفى بناء على ذلك (والاشارة للمترجمة لطفية الدليمي) بان هذا الامر يعد اتجاهها ايجابيا للعولمة التي تفوق سلبياتها المدعاة بكثير على خلاف العولمات الاقتصادية والتجارية المتفولة..

ونبقى في ميدان استحضار الرواية كشكل حيوي ومعاصر لما تعكسه ازمان ابناء شعبنا ففي كتاب اخر بعنوان (فيزياء الرواية وموسيقى الفلسفة) والذي ترجمته واعدت تقديم نبذ عن الروائيين والروائيات ممن نشرت حوارات لهم في سياق الكتاب المترجمة والكاتبة (لطفية الدليمي) حيث صدر الكتاب بطبعته الاولى عن دار المدى في عام ٢٠١٦ هنالك دعوات من قبل اغلب الروائيين، نحو

ابراز دور الرواية وتأثيرها على الواقع العام للبلد، ففي حوار مع الروائية (ايريس مردوخ) وهي كاتبة بريطانية ابرزت في اجابة لها دور الرواية، حيث قالت عنها انها منحة للإنسانية، ولكن غياب تأثير الفن الجيد ليس بخاف ..

حينما يذكر الكاتب النيجري الاصل ( شينوا اتشيببي) في سياق اجابة له، بان الفن الجيد والجاد وجد دوما لأجل خدمة الانسانية، لا لإدانتها ويضيف بانه لا يعرف كيف يمكن للفن ان يدعى فنا، اذا ما تسبب بإحباط الانسانية وقهرها، وهذا ما يتلاءم مع النماذج التي ابرزها كتاب وروائيون في سياق احاطتهم بالشخصية المسيحية من خلال ما قدموه..

ولا يمكن انكار ما ذكرناه سلفا، بان النموذج الحيوي الذي مثلته رواية جورج اورويل المعنونة (١٩٨٤)، والتي بقيت نموذجا بارزا في علاقة الادب بالاستبصار وقراءة النخبة الادبية، لما ورائيات الحاضر مثلما ذكر الكاتب (احمد مجدي همام) في مقالة له نشرتها مجلة (الشبكة العراقية) بعددها المرقم ٢٨٣ والصادر يوم ١٧ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧ حيث اتخذ الكاتب نماذج عديدة لسرديات عالجت قضايا مستقبلية، مثلما هو الحال مع رواية (عالم رائع جدا) والصادرة عام ١٩٣٢ للكاتب الانكليزي (الدوس هسكلي) وتناول بروايته الهندسة الوراثية والاحماض النووية الممزوجة صناعيا، وهو ما اكتشف لاحقا، اي في

عام ١٩٧٢ على يد فريق بحثي مؤلف من طلبة الدراسات العليا في جامعة ستانفورد الاميركية ..

ويفيد كاتب المقال، ان الروائي هو اكثر شخص مختلط بمجتمعه ومتورط فيه وهو بطبيعة تفكيره، يختلف عن اي شخص عادي لأنه مشغول طوال الوقت بالشخصية والاحداث والحوار وربط القصص ببعضها، والحقيقة ان الحياة المحيطة بنا ليست سوى احداث وشخصيات وقصص لذلك ..

وبحسب كاتب المقال، فان الروائي يمتلك تلك النظرة المستقبلية من خلال امامه بمجتمعه ورصده لتبعات وعواقب ما يحدث في الراهن او ما حدث في الماضي، ليعيد للأذهان ما استبصره (اورويل) في روايته المعروفة والمشهورة ..

ان الافكار تحتاج لكي تعيش الى السياق الذي يتقبلها، ويسمح بظهورها فالعبرة ليست بالجزء، بل بالكل فكم من الافكار سبقت زمانها واجهضت مباشرة ليست خاطئة، بل لان الاطار النظري لا يسمح لها بالبروز، وهذا ما يشهد عليه التاريخ لذلك فان اية فكرة تحتاج لإطارها النظري الذي ستسبح فيه بأمان، وهو من يقدم لها جواز المرور نحو القبول والظهور بل الذیوع والشعبية ..

وقد تصدى الروائيون، للتحويلات التي مر بها البلد من خلال الروايات التي عالجوا فيها قصور الوعي وغياب قدرته

على استبصار المستقبل، فبقيت افكارهم عائمة في زمن ملتبس ومحدد، وهذا ما عكسه توالي الحروب والصراعات التي ابقت البلد في دوامة العنف والاحداث المؤلمة والخسائر التي مني بها، نتيجة تلك الازمات والتي ادخلت بلدنا متاهة لم تتضح نهاياتها لحد الان ..

وبما ان المسيحيين وازماتهم كانت جزء من تلك المتاهة، وليس على صعيد ما شهدته البلد في ازماته التي مر بها عبر عقد ماض من الزمن، فحسب بل يحسب لازمة هذا المكون استمرارها منذ سيطرة الحكم العثماني الذي كرس الكثير من الاختلالات في منظومة القيم وعادات التفكير واخفاقات النظم الوطنية في محاربة الذهنية العثمانية التي رسخت للإلغاء الآخر المختلف وتهميشه واقصائه، مما عزز بإسهام المحتل، بفرز هويات فرعية وطائفية اضحت فيما بعد ادوات تزيد من احتقانات متراكمة، عبر توالي العقود الزمنية لكنه مع ذلك بدا الامر غير مرئي، ولم يتوضح الا مع استشراف المستقبل..

ومن خلال ما عاشه هذا العالم، فان الادب لم يكن يوما الا اكثر انعكاسا لواقع المجتمعات التي عبر عنها بأجناسه الابداعية المختلفة خصوصا مع بداية العقدين الاخيرين، حيث كان الادب بحق مرآة للمجتمع، فاستلهم منه تلك المرأة الاديبة والكاتب، ما اعانه بتوظيف ادوات ابداعه، ليعبر من خلال تلك الادوات، عن اشكالية غالبا ما كانت مأساة او

ازمة او مشكلة معينة لتترك تلك الازهاصات لاحقا بصمة في عمق الضمير الانساني..

فقد اتسعت مثل تلك الظاهرة بشكل ملحوظ ووفق نماذج روائية عديدة من ابرزها الظاهرة الروائية التي برزت في امريكا بعد الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١ حيث تفاجأ الامريكان بما جرى في منطقتهم، دون ان يكونوا قد حسبوا في اعتقادهم بانهم سيكونون في مأمن، من تلك الحوادث التي اضررت بأمنهم من خلال التهديدات الخارجية التي تواترت عليهم، فاذا الارهاب بضرب بشكل مفاجئ اكبر رموز الحضارة الامريكية ممثلا بمركز التجارة العالمي وما دمننا في سياق الواقع الروائي ونماذجه في تشكيل الاجناس السردية الناتجة من وقع الاعلام وتأثيراته، فان الامر لا يتعدى الايدلوجيا وتأثيرها في هذا الخصوص من خلال تشكيل ملامح النص الروائي والسردى..

وقبل ان ننطلق في تحليل الايدلوجيا التي لها انعكاسها المؤثر في النصوص الروائية، علينا ان نعد وصفا مناسباً للايدلوجيا مستقى من كونها، تمثل الايقان والايمان بفكرة ما ففى المقابل يبدو الابداع والادب امران يعتمدان اللا يقين، فمتى ما وصل الادب بشكل عام والرواية على وجه الخصوص الى اليقين الخالص والاجابات الجاهزة، فحينئذ يفقد هذا الفن سحره وجمالياته، واذا ما كانت الايدلوجيا

هي علم الافكار المسبقة والجاهزة تحديدا فالأدب بناء على هذا الامر، يفقد النص الروائي قوته وتأثيره، وكثيرا ما يعيش الروائي وطأة ابعاد نصه الادبي عن تدخلات الايدلوجيا الصادمة ..

وبالعودة الى قراءة ( رونين زيدل) التي ابرزها في الملحق الخاص بكتاب (المسيحيون في العراق) والتي عالج فيها الاكاديمي في جامعة حيفا، حضور المسيحيين في الرواية العراقية فقد اشار الى التجليات الاكثر انتشارا، لنمطية الشخصية المسيحية في احداث ووقائع الروايات التي انتجها الروائيين العراقيين ما بعد عام ٢٠٠٣..

فقد ظهرت تلك الشخصية متعايشة ضمن جماعة تتعايش هي الاخرى، وفق تعددية ترمز الى تنوع اطراف المجتمع العراقي ككل، مثلما يتخيل الروائي في سرده ونصوصه التي انتجها بناء على الراهن المعاش، ووفق التصورات والانطباعات التي اتخذها من النماذج المعتمدة لدى(زيدل)ومنها ما ابرزها من شخصية مسيحية في رواية (اقصى العالم) للروائي (ناظم العبيدي) ففيها يسرد الاخير من خلال روايته عن شخصية المواطن المسيحي الذي يعيش داخل مصحة معتقلا وهي الرمزية التي ابتغاهها الكاتب للدلالة على ما عاشه البلد تحت نظام البعث ..

كما اظهر (زيدل) نموذجا اخر للشخصية المسيحية متوارية في نص رواية (ذبابة القيامة) للروائي (سلام

عبود) واطهر فيها شخصية المسيحي معتقلا وسط جماعة من المنبوذين المصابين بمرض (الجدام) وهي الرمزية التي ذكرناها سلفا والتي لا تختلف عن الشخصية الواردة في الرواية السابقة للدلالة على ما عاشه العراقيون في زمن البعث ..

كما اشار (زيدل) الى شخصيات اخرى ضمن قراءته للروايات العراقية التي انتجت بعد عام ٢٠٠٣ حيث تحدث عن شخصية (ام توماس) والتي ابرزتها الروائية (لطيفة الدليمي) في روايتها المعنونة (حديقة حياة) حيث رفضت تلك الام مغادرة بلدها (العراق) وهي امرأة كبيرة السن متمسكة بمنزلها الواقع في العاصمة العراقية (بغداد) دون ان تبدي رغبتها بالانضمام لأفراد عائلتها ممن استقروا في المهجر، وتصر من خلال سياق الرواية على انها ليست وحيدة لكون جميع الاشخاص الذين ماتوا من عائلتها موجودين هنا ليؤنسوا وحشتها..

كما يعبر (زيدل) عن تجسيد المسيحيين في الرواية العراقية، كرمزية للتعبير عن انتمائهم الوطني وتجذرهم في بلدهم ليرفضوا فكرة الهجرة رغم توالي الاستهدافات المستمرة بحقهم حيث صور بعض الروائيين شخصية المسيحي بكونها جزء وحزمة من التاريخ والمكان ضمن اطار مدينة عراقية طالما عرفت باحتضانها لهذا المكون..

وفي هذا الصدد نذكر عنوان رسالة الماجستير الخاصة بالإعلامي عماد جاسم، والتي نالها بدرجة الامتياز عن دراسته الموسومة (تمثل الهويات الفرعية في الرواية العراقية، الهوية المسيحية نموذجاً)، فقد نال الناشط المدني والإعلامي عماد جاسم شهادة الماجستير بتقدير امتياز، وذلك عن رسالته العلمية التي جاءت بعنوان "تمثل الهويات الفرعية في الرواية العراقية ٢٠٠٣-٢٠٠٤ الهوية المسيحية نموذجاً". حيث جرت مناقشة الرسالة على قاعة الدكتور رشيد العبيدي في كلية الآداب / الجامعة العراقية في بغداد نهار يوم ١٤/تشرين الثاني (نوفمبر /٢٠١٦)، وتألقت لجنة المناقشة من الاساتذة الدكتور ناهي ابراهيم محمد رئيساً وعضوية الدكتور اثير محمد شهاب والدكتور فاطمة بدر حسين واشرف على الرسالة الدكتور عباس عبيد كزار. وقد تعمدت ان اذكر اسماء لجنة المناقشة لأنني وجدت ان في الامر تهميشاً بالنخبوية المسيحية من خلال الاستعانة بها لمناقشة المواضيع التي تخصها فكما يقول المثل الشائع (اهل مكة ادري بشعابها)!

وقد اختار الباحث (عماد جاسم) سبعة عشر رواية تناول فيها حيثيات الشخصية العراقية المسيحية من محتوى أصالتها والانتهاكات التي تعرضت لها في إطار ما تعرض له العراق عموماً وضمن ضغوط الخوف من الآخر ومحاولات الاحتواء والإلحاح اليومي للهجرة خارج الوطن



والمساعي الرائدة للتعايش والتجانس تحت وطأة مجسات الدين والجنس والسياسة .

هذا وقد أشار الباحث الى انه اختار هذا الموضوع من منطلق، اولا الاهتمام بموضوع الاقليات ونشاطه هو شخصيا في ميدان الاعلام والمجتمع المدني واثر موضوع الهوية في تماسك النسيج الاجتماعي من جهة أخرى، وثانيا حداثة حقل الهوية المسيحية وجدته في الدراسة الأدبية عموما والروائية بشكل خاص في العراق .

كما عبرت عن موضوعة اختيار المكونات ضمن سياق الرواية ما تحدثت عنه (لطفية الدليمي) عبر ترجمتها لكتاب (تطور الرواية الحديثة) لمؤلفه (جيسي ماتز) حيث ذكرت ان الرواية تمثل الاشتغال المعرفي الذي يعد المتفرد ضمن الاشتغالات الادبية التي طالتها الارتقاء المتواصل بدون انقطاع الى جانب فن السيرة الذاتية الذي يمكن عده رواية ذات سمات خاصة وتعود (الدليمي) لإبراز هذا الامر من خلال تجسيد الرواية للمعلم الثقافي والحضاري في أي بيئة يمكن ان يعيشها البطل المفترض في سياق النص الروائي ..

وبما ان (زيدل) قد تحدثت عن اطر متعددة للشخصية المسيحية خصوصا مع تمسكه بالإشارة الى كون هذه الشخصية تحمل انتماء لبلدها، كما في سياق شخصيات اوردها روائيون لتترجم ذلك الانتماء وخصوصا في رواية

(مدينة الصور) للروائي (لؤي حمزة عباس) ورواية (الذباب والزمرد) للروائي (عبد الكريم العبيدي) ورواية (سفر السرمدية) للروائي (عبد الخالق الركابي)..

فإلى جانب شخصية المواطن المسيحي المشبع بالانتماء الوطني الخالص، تبرز شخصيته كمنقف ينتمي لمجتمع متحضر فيتحدث عنها روائيون بمزيد من الوقوف عند عمق التحضر والثقافة التي تمتلكها تلك الشخصيات التي يوردها الروائي (نجم والي) في روايته (صورة يوسف) وفي رواية (غايب) للروائية (بتول الخضيري) حيث يتمسك الروائي، بإيراد تلك الشخصيات ممن تحمل عمقا فكريا ناجما من الانتماء، على سبيل المثال للحزب الشيوعي العراقي ..

كما ذكر (زيدل) وفق رؤيته بان المسيحيين قاموا بتأدية دور تاريخي في سياق هذا التنظيم السياسي، حيث ابرز على سبيل المثال شخصية لمسيحي عضو في هذا الحزب كما في رواية (جنان جاسم علاوي) التي حملت عنوان (اماكن حارة)..

وليس الرجال المسيحيين فحسب من برزوا في سياق الروايات التي تطرق لها (زيدل) في سياق قراءته الشاملة، بل ابرز دورا نسائيا ملحوظا في عدد من الشخصيات التي اوردتها الروايات العراقية فضلا عن كونها لعبت دورا محوريا في سياق الروايات، مثلما هو الحال في رواية

(زنايق بين الالغام) للروائي (علي الشوك) فتحدث من خلالها هذا الروائي عن انبهار زوجين مسلمين بتقاليد وطقوس مسيحية تصل ذروتها بالاستمتاع لأنامل امرأة مسيحية تقوم بالعزف على البيانو، لكن تلك الذروة الثقافية والفنية ممن تميز بها المسيحيون بشكل خاص، لم تغب عن اذهان الروائيين بل عمدوا لاستحضار كواليس المجتمع الخفي لبعض العوائل المسيحية، فقدموا من خلال رواياتهم الجانب السلبي، لإظهار بعض الواقعية التي يمكن ان تكون تضردا او تغريدا خارج سرب المؤلف ..

وهذا الامر ما عنته دراستنا نحو اعتماد الاعلام السلبي وتأثيراتها في انتاج مثل تلك الشخصيات التي لا ننكر واقعيتها، بقدر ما هي ضحية لواقعها المحيط بها او بيئتها غير المتجانسة، بالإضافة لإمكانية تقديم معلومات مغلوبة عن تلك الشخصيات، وتوظيفها بما يلبي روحية النص لدى الروائي كما ابرز (زيدل) لدى قراءته لبعض الشخصيات النمطية التي لم تكتف الا بلعب دور محوري في سياق الجدل السياسي الراهن..

ففي رواية الروائي (علي بدر) التي تحمل عنوان (بابا سارتر) تبرز شخصية الخادمة المسيحية التي تقيم علاقة جنسية مع بطل الرواية الشاب كما يبرز (زهدي الداودي) في روايته المعنونة (زمن الهروب) قصة زواج بطل الرواية من امرأة ذات اصول ارمنية تدعى (مادلين) يلتقيها بمدينة

الموصل لتعتنق هذه المرأة الدين الاسلامي وتتقبلها القبيلة الكردية التي ينتسب اليها بطل الرواية ثم تلقى حتفها في اثناء وضعها لطفل ليتحول قبرها فيما بعد الى مزار يؤمه المسلمون المحليون..

وعموما فان الشخصيات التي قدمها (زيدل) في اطار الورقة البحثية التي نشرها بكتاب (المسيحيون في العراق) والتي خصصها للشخصية المسيحية في الرواية العراقية فهناك شخصيات اخرى يمكن فرزها ضمن سياق روايات صدرت لاحقا، وقد تطرق اليها كتاب (المسيحيون في العراق)، ومنها ما ابرزته رواية الروائي العراقي الراحل (سعدى المالح) في روايته (في انتظار فرج الله القهار)، او من خلال العمل الروائي المهم والذي قدمته الروائية العراقية المغتربة (انعام كجعة جي) وجاء بعنوان (الحفيدة الامريكية)، وما الى غيرها من الشخصيات التي تم التطرق اليها في سياق بحث الاكاديمي (رونين زيدل)..

لكننا نبحت ايضا في سياق الروايات التي تسنى لنا الاطلاع عليها او ما ابرزته كتابات اعلاميين عن البعض الاخر فمن خلال رواية (سقوط سرداب) للروائي العراقي المعروف (نوزت شمدين)، تبرز شخصية مسيحية هي شخصية (ابو يعقوب) الذي يبدو ملكيا اكثر من الملك ذاته في لعبه شخصية البعثي الباحث عن بطل الرواية الذي يستقر في سرداب خوفا من حروب العراق المتتالية ..

وفي هذا الشأن نورد جزء من قراءتنا الموسعة لتلك الرواية، التي ابرز من خلالها كاتبها (نوزت شمدين) ذاكرة مستوحاة مما عاشه العراقيون عبر ثلاثة عقود ملتهبة بالحروب والازمات، فيسعى من خلال روايته (سقوط سرداب) والصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بـ ١٧٥ صفحة، ان يقف عبر شخصية الرواية الرئيسية (ثائر سالم) في الوقوف على الحياد بين محطتي الحياة والموت في استقراره في سرداب منزله خوفا من الانصهار في اتون الحرب التي تشتعل بين فترة واخرى ..

الثيمة الرئيسية التي يبرزها (شمدين) في روايته المذكورة، هي الذاكرة العراقية التي تؤرخ لسنين من الازمات التي عادة ما تتجسد الى حروب يكون ضحاياها من الابرياء، وبالرغم من ان الرواية تبدو حافلة بالشخص والامكنة والتواريخ الدقيقة التي يستعين بها الكاتب ليعبر من خلالها حرفيته الصحفية التي تمتزج مع سرده المؤسس على وقائع مثيرة تبرز بين فصل واخر لتبقي القاري على تواصل مع اللاحي واللاميت المستقر في سرداب منزله لكي يتأمل مع ما يجري في الخارج من الالام، الاسر والفقدان والموت بلا قيمة تذكر ..

انها رواية الالام العراقي، التي لا يغيب افقها عن اعمال الروائيين العراقيين انتظر كاتبها كثيرا ليطلقها من مهجره الذي استقر فيه في احدى الدول الاسكندنافية،

وربما تبرز تلويحته لمدينته التي عاش فيها (الموصل) والتي تنبض من بين سطورهِ والتي تعيش اليوم ازمتهَا الحزينة بسيطرة تنظيم الدولة الاسلامية عليها منذ اكثر من عام (تاريخ صدور الرواية)..

ويدرك (شمدين) اهمية ضخ الكثير من اسماء المناطق التي تضح بها الموصل لكي يمنح روايته الواقعية التي تبقي القارئ الموصلي على مسافة من الذكريات التي عاشها هذا القارئ مع الاحداث التي ترد في تلك الرواية لتنتعش تلك الذكريات بتفاصيل اخرى عاشها المستقر في السرداب، ليمنح رؤيته ازاءها وهو المستقر في قاع المنزل مقارنا مع الباقي في مواجهة تلك الاحداث والذي عاشها بتفاصيلها..

وينفجر بركان الرواية في الازمة الكبرى باحتلال الامريكان للعراق، وما تمخض عن هذا الاحتلال من فوضى ضاربة لا تقاس مع الكثير من تفاصيل الاحداث الذي دونها قلم الروائي (شمدين) في سياق الرواية، وربما ركز على الفوضى التي شهدتها الشارع الموصلي في ذلك اليوم النيساني من عام ٢٠٠٣، والتي قرر على اثرها بطل الرواية ان يترك سطح الحياة وليعود الى منفاه الاختياري بكلمته التي يخاطب بها امه، وتختتم بها الرواية وهو يشير الى باب السرداب بد(اغلقه ورائي)..

ثمة رسائل مبطنة تتفاخر ما بين سطور الرواية يحتفظ بأسرارها، الكاتب (نوزت شمدين) ليخاطب من خلالها قارئاً ذكياً يسعى لفك رموز تبرز وتختفي في سياق الرواية، التي لا يسعى من خلالها (شمدين) لأن تكون روايته ذات سياق تاريخي وتوثيقي فحسب، بل هي رواية كل الأزمنة ما دام الصوت الانساني يبقى مخنوقاً تجاه ما يحصل من ازمات ودون ان يكون للشعب قراره الاهم في ان يقف نزيه الحروب، وان تكون اجساد ابنائه طعماً مناسباً لنيران المدافع والهاونات والدبابات وكل الات الدمار المحرقة..

وإذا كانت الشخصية قد اختارت الموقع الوسط، ما بين الموت والحياة فانه ترجمة لما كان يعيشه اقرانه وهم يعيشون مناخات الحرب التي اضفت على العراق فصلاً متزامناً لاجواء الخريف، لتسقط من اشجاره الاف الاوراق النظرة، وليبقى اللون الاصفر مناسباً لشكل الحياة التي يحيها هذا البلد ..

كما لا يسعني، وانا استذكر جانباً من تلك الروايات، الا ان اتوقف عند محطة رواية اخرى قدمتها روائية موصلية تدعى (غادة صديق رسول) بعنوان (اجمل كابوس في العالم)، وسأتوقف عند قراءة موسعة اعدتها بشأن هذه الرواية التي كانت قد صدرت بطبعتها الاولى عام ٢٠١٤ لتحدث عن شخصيات تلك الرواية، ومن بينها شخصية

مسيحية سوف لن تكتفي بإبرازها (رسول) في هذا العمل، بل ستكون هنالك شخصيات اخرى سنتوقف عند محطاتها تباعا لكننا الان سنورد جانبا من قراءتنا بشأن روايتها التي ذكرتها انفا وهي رواية (اجمل كابوس في العالم)..

فتحت عنوان (رواية عراقية تفصح عن ماسي اخرى تكبدها ابناء الرافدين)، تحدثت عن تلك الرواية حيث اشرت الى انه عبر (٣٢٠) صفحة من القطع المتوسط، تصحبنا الروائية العراقية (غادة صديق رسول) في روايتها الصادرة عن دار الفارابي بعنوان (اجمل كابوس في العالم)، نحو الاطلالة على ما شهدته ثلاثة عقود مرت، لتحصد ارواح العراقيين وتكبدهم الازمات والمحن التي عاشوها في ظرف هذه الفترة الزمنية..

ولكن خلال احداث الرواية الجديدة، تفصح (رسول) عن الم اخر عاشه ذوو الاسير الذي بقي متوقفا في دائرة محايدة بين محطتي الموت والحياة، بغياب كل ما من شأنه ان يختص بحياته وعيشه تلك المأساة الانسانية ..

وتنطلق الرواية من محطة عام ١٩٩٤، حينما يتهيأ المنزل الواقع في قرية (حسن شامي) لاستقبال احد افراد الاسرة ممن غادروا العراق، بعد ان تكالبت عليه حرائق الحروب لتدفع بـ(والي) الى المضي نحو بلاد بعيدة للاستقرار فيها، وعدم تكرار مأساة شقيقه (وليد ووحيد) حيث كان الاول اسيرا لا تمتلك العائلة اية معلومات عنه،



فيما تعرض الشقيق الاخر لحادثة قطع صيوان الاذن، بعد اتهامه بالفرار من الخدمة العسكرية.

وتستثمر الروائية (غادة صديق رسول)، مهاراتها الروائية التي تكتسبها من معرفة عميقة بالقرى المحيطة بالموصل وجغرافيتها، لتصور الاحداث المحيطة بتلك الاسرة التي تعيش عبر فصول وفصول، محطات من الفرح والحزن من خلال سنوات لا تغيب فيها الحرب والانفجارات ليكون شخوص الرواية الشهود الحقيقيين عما يعيشه العراق من فترات تغيب فيها شمس الاستقرار وتلبدها على الدوام غيوم الازمات..

في روايتها، تعتمد (غادة صديق رسول) على حدسها من خلال توظيف ادوات الرواية لإبداع رواية اخرى يدونها احد شخوص الرواية الرئيسيين وهو خالد (ابن الاسير) فتدعه يكتب روايته داخل الرواية الرئيسية، دون ان تقترب ما يربك القاري، الذي تجذبه احداث الرواية الرئيسية، ويشعر بالاسى تجاه شخوصها وهم يعيشون، مرارة الازمنة المتلاحقة دون ان يبلغوا ما يصبون اليه، بالرغم من بعض المحطات السعيدة التي تبدو كبصيص امل ينبثق بين فصل واخر دون ان يدوم طويلا..

لا تتحدد الروائية في سياق روايتها بأزمات العراقيين فحسب بل حتى تخترق عالم الانسانية نحو عالم الحيوانات الاليفة، لتروي ايضا محطات من حياة كلب العائلة

(صفوري) الذي يتذوق ما تمر به تلك العائلة القروية،  
ويبرز حالاته التي تتماهى مع ما يشعر به..

في هذه الرواية لاشي داخلي يشعر بالاسى، حينما  
يختفي الشر لتسود الطيبة وينبثق الامل من النفوس فيما  
يكون الشر عبر المحيط الخارجي محققا، مع ما تنبئه  
الظروف المحيطة وهي ايماءة ذكية من كاتبة تحاول  
ابراز ارهاصات الانسان العراقي المبتلى بعقود الحروب  
الثلاثة المتوالية، ليجد ان لا شر يبرز من حياته رغم ان  
الشر عادة ما يكشر انيابه ليحاول ان يعكس تأثيراته على  
محيط تلك العائلة، وما الا نموذج (خالد) العائد الى الحياة  
بأعجوبة النجاة لكن، بشخصية اخرى كئيبة وفاقدة  
لذاكرتها اثر انفجار سيارة مفخخة بالقرب منه..

رسالة الحب التي لا تغيب عن صفحات الرواية هي  
اقصى ما يمكن ان تجسده الروائية (غادة صديق رسول)،  
لتحاول رسمه عبر يوميات الدكتور (حلا) والكاتب  
الاكاديمي (خالد) وهم يواصلون مشوار الحياة، بالرغم من  
فصول طفولتهم المكتنزة بالاسى جراء افتقاد الاب الاسير  
والتي غالبا ما هيأت اجواءها الكاتبة في الفصول الاولى عبر  
زيارة العم القادم من لندن، وما عكسته تلك الزيارة من  
ارهاصات نفسية عاشها الطفلان لتكون محورا دائم الحضور  
في الفصول التالية من الرواية..

وربما قلم الامل الذي تدون به (رسول) روايتها هذه، يطلق تلك الاشارات التي ينبغي ان تبقى دائمة الحضور، فلولا فسحة الامل والذي يبدو كانه المرتكز الرئيسي الذي تعتمده الكاتبة لبناء احداث روايتها، حيث تحفل بالكثير من المحطات التي تنبض خلال فصول الرواية والتي وضعت تحتها خطوطا لكي ابرزها في سياق هذه المقالة، لكنني وجدت اخيرا انني اتجه لنشر الرواية بكاملها من خلال تلك المحطات الكثيرة..

ربما هنالك رسالة اخرى المسها من خلال الرواية، لتجسد ما عززه فقدان الاب خلال سنوات الاسر الطويلة وما حققته تلك السنوات من غياب مؤثر على صعيد شخصا الرواية الرئيسيين فاستطاعا ان يعكسا ذلك الغياب بشكل ايجابي، مستفيدين من رسائل الاهل المشجعة التي تحثهما على توظيف اي تفوق لإسعاد الاب حتى ولو كان على بعد الاف الاميال يعاني من تجربة قاسية عاشها معه الاف العراقيين، ليشهدوا جهودا معاكسة من قبل الطرف الاخر، تنبئهم بعدم اهتمام البلد بهم وتناسيهم، لكنها مجرد افعال لا ترقى لان تكون ذكريات تمحوها الذاكرة حال ملامسة اي اسير لأرض الوطن ولثمه ذلك التراب الغالي ..

والاكثر شيوعا ان تجربة الاسر لدى كثيرين لم تترسخ في ذاكرتهم، وبقيت محطة للنسيان ليشاركوا لدى

عودتهم لأرض الوطن، اقرانهم ماسي ونكبات اخرى هي الاقصى ربما مما عاشوه في فترات سابقة .. تبقى رواية (اجمل كابوس في العالم) للروائية العراقية غادة صديق رسول في ذاكرة قارئها، كونها تصدر ضوئها نحو مأساة اخرى، عالجهما كتاب وروائيون بتجارب وكتابات، لكنهم لم يتوقفوا طويلا عندما عاناه الاسرى وذووهم من مرارة الصبر وتجسيد لحظة اللقاء التي مرت عليها اعوام دون ان تتجسد بشكل ملائم، لان هنالك الكثير من تجارب الاسر اكتست بمرارة اخرى ربما اضاءت جانبا منها الروائية (رسول) حين اشرت نحو وفاء الزوجة (حسنا) لذكرى زوجها، مع اشارتها لتجارب اخرى كان فيها الوفاء غائبا ومغيبا..

كما انني كتبت عن روايتها الابرز والتي تحدثت عن محنة التهجير التي مر بها المسيحيون من خلال شخصية مهمة في سياق روايتها التي حملت عنوان (شتات نينوى) قبل بضع سنوات، حيث لم تكن غيوم ما حصل في صيف العام ٢٠١٤ حينما استولى تنظيم الدولة الاسلامية على مدينة الموصل ببعيد عن الكاتبة (غادة صديق رسول) مثلها مثل الكتاب الذين وجدوا ان ما حصل في مدينة الموصل بمثابة خزان الحكايات الذي لا ينضب، خصوصا وان الاعلاميين كانوا قد سلطوا اضواءهم ازاء الحرب على تنظيم داعش مركزين على ما انتجته تلك الاحداث التي

شهدتها المدن التي نالت نصيبها من الدمار والخراب بفعل تلك العناصر التي انتمت الى ذلك، بينما بقيت القضايا الانسانية، بعيدة عن متناول الاعلام الذي انشغل بنقل التفاصيل المحيطة من تدمير الاثار وحفلات الاعدام الجماعية وكلها كانت بمثابة فيلم طويل ينتمي لسلسلة الافلام (الاباحية) التي اباح فيها داعش الارض والعرض على مدار المناطق التي فرض سيطرته عليها، لكن على العموم لم تكن ردود الافعال التي ابرزها الاعلام العالمي موازية لتلك الصور التي نشرتها وسائل الاعلام ..

ولاشك في ان ما جرى من انتهاكات تطرقنا اليها، كانت هنالك في المقابل الكثير من القصص والحكايات لأبطال تنوعوا بين شرائح وفئات مختلفة، وكلها اوضحت جزئيات تكمل الصورة الحقيقية لما جرى على مدى عامين او ما يزيد، ولا بد ان تبقى عين الحقيقة ساهرة لرصد سير لرحلة كثيرين تركوا مدنهم واصبحت قضية تهجيرهم محور لقصص اصبحت جزءا من الذاكرة فهناك العديد من قضايا فراق احبة ومتزوجين واباء لأبنائهم وذكريات ساخنة كالدموع لمفارقة البيوت والامكنة -وكما اشعر انا الان..!

بعد كل هذه المقدمة اعود لرواية الكاتبة غادة صديق رسول التي عنونها بـ(شتات نينوى) والتي صدرت عن دار الفارابي ببيروت بـ(٣٧٦)صفحة وحاولت الكاتبة من خلال

روايتها الجديدة دحض كل ما يقال بان اعمق وافضل ما يكتب لا يكتب في زمن الازمات بل على العكس في ان ما كتبه (رسول) يأتي في اطار المعركة المفتوحة على ذلك التنظيم والاسلحة المستخدمة لابد ان لا تفضل اسلحة السياسة والاقتصاد والادب لتوصل ما عكسه ذلك التنظيم الذي حاول فصم عرى النسيج الاجتماعي والذي لم ينفع جهد امهر الحائكين من رتق تلك الشقوق التي احدثها التنظيم بذلك النسيج ومع ان الصبر لاينفع اذا ما عالجتنا به عقدا اخر لنصبر على قراءة سرديات تحاول رصد ما دار في بلاد الرافدين وفي بقع مختارة من تلك البلاد التي وقعت اسيرة بيد التنظيم ليحرق فيها الاخضر واليابس ..

عالجت الروائية (غادة صديق) في روايتها حاجة المشهد الادبي لهذا اللون الابداعي معايشة بذلك الواقع وهنالك نماذج عربية عالجت واقعتها برؤية ادبية خالصة وتحولت فيما بعد الى دراما تلفزيونية كمسلسل (ذات) على سبيل المثال ..

فقد انصتت الكاتبة في روايتها لأصوات المهجرين، ممن اضطروا لترك منازلهم فاستباحها التنظيم ووضع عليها بصماته المسخة، فأبرزتها بصورة الغلاف المعبرة ولم يكن متن الرواية بعيدا عن غلافها فقد تفاعلت الروائية مع تلك القضية الساخنة، لتحولها الى رواية حافلة بالشخصيات، وتكون خطوة اولى تستدعي السينمائيين واهل الفن الى ان

يلتفتوا اليها ليحولوها فيما بعد الى مسلسل او فيلم، لتترك  
اسئلة تحيط بالصورة الكبيرة التي اهملها العالم بعد ان  
اهمل قبلها عشرات القصص الاعلامية التي دونها صحفيون  
كشفوا زيف التنظيم وفضحوا ماكانته الاعلامية ..

واذا كانت وسائل التواصل في قفص الاتهام بتهمة  
تغيير مزاج القارئ الذي بات يفضل كتابا صغيرا بجمل  
قصيرة وحيوية مع افكار سهلة مبرزا ذلك القارئ رؤيته  
نحو الكاتب الذي كلما بسط ما يريد ان يقوله لإيصاله  
للآخرين فيكون على قدر كبير من النجاح لجذب ذلك  
القارئ وسيعتري ذلك القارئ شعور بالاستغراب نتيجة ما  
انتجته الكاتبة عادة من اسلوب جاذب للقاري بفصول  
روايتها التي تجاوزت الـ(٦٥) فصلا حيث تعمدت مواراة احد  
الفصول الذي بدا محوريا في سياق كل الحكاية التي  
تناوبت على نسج تفاصيلها بشخصها وشخصياتها لتستهل  
تلك الرواية بإهدائها لي شخصيا، وهذا ما جعلني اشعر  
بالاعتزاز معتبرا بان ما قامت به الكاتبة يعتبر دليل  
التعاشي وعنوان الحكاية الابرز والذي عولت عليه لتنطلق  
في سرد حكاية بطل الرواية (احمد رابع عباس) واصدقائه  
ومحيط عائلته ..

فالبطل يبدا بسرد حكايته، مرمزا لأحداثها بالموصل  
المدينة المرأة التي تقف وراء الكثير من التفاصيل لكن في  
سياق كل التفاصيل هنالك الكثير من الشخصيات

المحورية لاسيما (عزيز) الذي يطل كلما تعرض البطل (احمد) لخطب ما جراء الاوضاع الشاذة التي تعيشها المدينة ومثلما ذكرت مسبقا، فان الكاتبة ركزت كثيرا في روايتها لإثارة قيم التعايش والتنوع والتبادل الثقافي وهذا ديدن الكتاب ذوي النزعة التعددية الثقافية من خلال تركيزهم في العادة على الحديث عن تلك القيم واثارة موضوعة التعايش في فضاء تغلب عليه ثقافة مهيمنة كما تبرز بذلك شخصية شقيق البطل المدعو (عباس)..

(شات نينوى) الرواية بصورها تمثل ترنيمة امل لمستقبل المدينة التي استباحها التنظيم ونهاية الرواية، بالرغم مما تكتسبه من الم و حزن عميقين لا يشكل الا انتصارا للرؤية الخلاصية في خضم ازمة الهوية الحديثة الطاحنة التي يعيشها الموصوليون ممن تشتتوا في اتجاهات العالم وفي فضاءات المدن البعيدة والقريبة .

وقد اشرت ايضا الى ان الرواية تنتمي لسلسلة الروايات التوثيقية التي ينبغي امر صدورها ملزما خصوصا في خضم ما واجهته النخب الادبية من احداث فقد كانت الاحداث متشابكة لا يغيب عن افقها ما جرى من مشاهد مؤلمة بناء على سيطرة التنظيم الارهابي على مدينة الموصل صيف عام ٢٠١٤، وما لفظته تلك السيطرة من صور التشتت والتهجير لتمحو مجتمعا بني بالكثير من صور التعايش، لتبرز بعد تلك الصور مشاهد اخرى من



الشك والتجني والريبة التي حلت في اوساط المكونات المتعايشة لتستبدل كل الصور التي كانت مألوفة قبل ذلك التاريخ ..

وربما كانت هذه الروايات التي بدأت بالاستعداد لتكون بمتناول القاري الباحث عن وجه الحقيقة مما جرى لمدينة الموصل ولتخزن الرواية اليوم عمق البشرية ولتعبّر عن تداخل الواقعي بالخيال الابداعي الذي ينتجه الكاتب كما تعد الرواية التي تنتج اليوم لتوثق ما جرى بمثابة اختبار لعمل المفهوم الذي لا ينفصل عن شخوص الرواية وصيرورة تفاعلاتها مع ممكنات الوجود ..

ومما دعاني الى ان اوثق هذا الامر المتعلق بالرواية هو توالي الاحداث التي لم يفلت منها الارهاب ليؤشر في الجانب الاخر ولعا لدى القاري بإعادة اكتشاف الاماكن والاروقة التي اوضحت فيما بعد مسرحا للأحداث..

وفي هذا المجال سأجد ما بين مقالات نشرتها جريدة عراقية مقالا مترجما يكشف عن اقبال متزايد لرواية كتبت في عشرينيات القرن المنصرم من قبل همنغواي وعنوانها بـ(باريس عيد) وكانت تباع بمعدل ١٠ نسخ لتصبح بعد الهجمات التي طالت فرنسا في خريف العام الماضي تباع بأعداد تقارب الـ(٥٠٠) نسخة يوميا لكي يعرب الباريسيون عبر هذه المبادرة عن حبهم لمدينتهم التي وثقتها تلك الرواية التي تتضمن ذكريات حميمة

لهمنغواي قضاها خلال اقامته في العاصمة الفرنسية (باريس) في العشرينيات من القرن المنصرم، حيث اقتناها المتضامنون مع ذوي ضحايا الاعمال الارهابية، ليضعوا تلك النسخ بين الزهور والشموع امام الواجهات التي ثقبها الرصاص واجتاحتها الشظايا في الاماكن التي شهدت تلك الاعمال الارهابية..

اما في ما يتعلق باختيار الجنس الادبي ممثلا بالرواية لتكون شاهدة العصر على ما جرى من احداث، فقد برهن العالم العربي ان الروايات الصادرة في بلدانه قد اصبحت مثل الطوفان فقد ابرز ملتقى خاص بالرواية العربية عقد في لبنان في العام ٢٠١٦ بان ما مجموعه ٧٠٠ رواية عربية باتت تصدر في السنة الواحدة لتشكل طوفانا يتجاوز المعنيين بهذا الفن الادبي وليجعلهم بناء على ما تناوله ذلك الملتقى من الاحاطة حتى بالأنواع التي يمكن ان تدرج تحت هذا المصطلح خصوصا..

حينما ذكر عدد من الروائيين بان ما يكتب في بلدانهم التي تشهد ازمات تحت هذا المصطلح اصبحت متاحا حتى بين اوساط من ليست لهم علاقة بالكتابة، ليتحول فعل الكتابة الى فعل حرية ورغبة بالتعبير تتناسب عكسيا او تأتي كردة فعل على حياة اولئك الذين يكتبون عن حياة محافظة ومنغلقة على نفسها، وقد اشار المجتمعون في سياق ذلك الملتقى الى امر اخر يخص الرواية العربية

التي باتت تزداد تورطا على الواقع ليجعلها فيما بعد تسجيلا للحياة اليومية بدلا من ان تكون اعادة انتاج للحياة ذاتها..

وفيما شكل حضور وسائل التواصل من شبكة الانترنت وما يتعلق بها من نوافذ تواصلية كالفيس بوك والتويتر وغيرها من تلك النوافذ الالكترونية التي اضحت منافسا للكتاب وللنصوص الادبية فان الثقة بسطوة الكتاب وانتصاره في هذه المنافسة بات يتردد في اكثر من جانب، لكن في متابعة امر برز اخيرا في توجه القاري الى الكتاب الصغير بدلا عن الموسوعات والملاحم فالكتاب الصغير يحوي جملا قصيرة وحيوية ويمنح افكارا سهلة ويجذب الكاتب قراءه بتبسيط ما يريد تمريره لكي ينجح في جذبهم نحو مؤلفاته ..

وهذا الامر يواجه صعوبة لدى الروائي العربي الذي لا يهضم فكرة الاستغناء او المساس عن نص يمكن ان يصل الى ٥٠٠ صفحة في الوقت الذي تسعى دور النشر الى تصغير حجم كتبها لكي تلائم رغبة القراء الذين يجد اغلبهم ان القفز بين الصفحات والاستغناء عن المرور بكل التفاصيل يتيح لهم الوصول الى ادراك نهاية الرواية باختصار الوقت المتاح لقراءة تلك الرواية ..

اعود لأشير الى ان ما جرى من احداث خصوصا في ما يتعلق بسيطرة داعش على مدن عراقية ومنها مدينة

الموصل وما تمثله الاخيرة من شواهد تاريخية خصوصا وان التنظيم خلال سيطرته على المدينة قام بالعديد من الافعال التي وثقتها تقاريره المنشورة على شبكات التواصل ومنها تدميره للآثار والشواهد التاريخية واستباحته للكنائس ودور العبادة سيكونان الملامح البارزة للكثير من الروايات والحكايات التي ستنجحها اقلام الكتاب والادباء، اعتمادا على ما تمثله الرواية من الذاكرة الجمعية لكل جغرافية بشرية..

فمثلما ذكرنا بان الرواية اصبحت خزاننا للذكريات التي باتت تحفظ المزايا المجتمعية والانثربولوجية لكل جغرافية بشرية كما تؤدي الرواية في زمننا الراهن وظيفة مارسها الاساطير في ازمان سابقة لذلك تعتبر الرواية، البديل الاكثر جدارة وقدرة من الاسطورة التي ساهمت سلفا بتعزيز الصلابة الداخلية للفرد وبينما ستكون الروايات المنتجة متمتعة بالكثير من الواقع فلا بأس من ان ينحو كتابها الى اعتماد جزء من الخيال البشري ليشعل شعلة الشغف والاحساس بالمغامرة التي اصبحت الانطباع الذي تذوقه المحاصرون في لجة تلك المدينة التي عانت ذلك الحصار الخانق، يضاف اليهم المغامرون بالركون نحو اختيارات الاراضي المتاخمة للمدن التي لم ينجح التنظيم بالسيطرة عليها لكي يتذوقوا طعم الحرية التي سلبت منهم..

وقد تحدثت الروائية (غادة صديق رسول) عن جانب من بيئتها التي جعلتها تتمسك بالشخصية المسيحية كمحور دائم الظهور في اغلب رواياتها، ومنها رواية (بياض الليل سواد النهار) حيث ابرزت في سياق هذه الرواية التاريخية حضور مسيحي إلى جانب أبناء الموصل في تصديهم لحصار القائد الفارسي ( نادر شاه) مشيرة الى ان على المثقف، والمؤرخ والإنسان، إبراز الصور الصحيحة الأصلية، للتأخي والتعايش السلمي في الموصل وكل العراق، الوضع الذي استمر قرونًا، ولم يهتز حتى ضعفت سلطة الدولة بعد أحداث سقوط النظام في ٢٠٠٣.

وتابعت (رسول) بان محنة تهجير المسيحيين من المدينة افقدت مدينة الموصل نكهتها مشيرة الى ان مدينة الموصل خلال الاعوام التي ترك فيها مسيحيو الموصل مدينتهم كانت ناقصة بالتأكيد، مضيعة بان الموصل بدون التعايش والاحترام والمواطنة ستضيع ولن تعود موصلنا التي نحب والتي نعرف.

ثم قالت (رسول) انها عرفت من المسيحيين صديقات وزملاء في العمل، وكنا نتبادل التهاني والكليجة في الأعياد، إضافة لأن أقرب صديق لوالدي كان اسمه ( يوسف فرجو)، كان الوالد يعيش في بغداد، وكان العم يوسف (أبو داليا) أقرب إلينا من عمنا وخالنا، ولم نعرف الفرق بيننا وبينهم حتى ذهبنا إلى المدرسة المتوسطة. أجمل

ذكريات طفولتي تتعلق بمنطقة رأس الكور والشهوان، كنت أقضي هناك عطلة الصيف والأعياد في منزل جدي، وكنت أشاهد الراهبات يدخلن ويخرجن من الكنيسة وإليها، وكن يقمن بزيارة المرضى ولا يتأخرن عن تقديم أية مساعدة للجميع، كنت أشبههن بالحمائم وكن يبتسمن لي دائماً. كما عبرت عن شغف بالحضور المسيحي في رواياتها الصادرة حيث اكدت ان هذا الامر مستمد من شغفها بالأديرة والكنائس (بحسب قولها)، لروحانياتها ومعمارها الجميل الذي يحرض الخيال. من قساوسة ورجال دين مسيحيين كانوا يشبهون مدينتي ووطني.

وبعيدا عن عوالم الروائية (غادة صديق رسول) ننصت لما كتبه الاعلامية (حنان اويشا) بشأن رواية (سابرجيون) للكاتب العراقي المعروف (عامر حمزة) حيث ذكرت اويشا بأن الرواية منذ الوهلة الاولى تستميل القارئ .. عنوانها .. اناقة الغلاف وتعابيره.. البداية وحتى النهاية.. كلها مجتمعة جعلتنا نترث لأيام عند محاولتنا للتعبير عنها عبر القليل من الكلمات تعطئها حقها وتتناغم مع ذلك الابداع والروح النقية لكاتبها، وما حمله من مشاعر جياشة ومعاني حقيقية للحب والتعايش والوفاء لأناس كانوا جزءا من حياته وربما حياته بأكملها .. فبمجرد ان وقع نظري على عنوانها خلت بانني متوهمة فيما اقرأ .. حتى بدأت اتهمجى الحروف كمن عرف اللغة

لتوه... انها رواية (سابرجيون) للكاتب العراقي المبدع عامر حمزة بطبعتها الاولى الصادرة عام ٢٠١٤ عن دار فضاءات للنشر والتوزيع.

الرواية وبحسب قراءة الاعلامية (حنان اويشا) التي سنورد جزء واسعا منها تحكي قصة الكاتب الذي عاش طفولته وشبابه في (حي الاثوريين) في منطقة الدورة ببغداد ومن خلال قصته يبدع في وصف حياة المسيحيين في ذلك الحي بكل تفاصيلها، الصغيرة منها والكبيرة.. مسراتها وآلامها .. اعيادهم بطقوسها.. مناسباتهم بصخبها.. الوصف النابع من حقيقة مشاعره وشدّة تأثره بتلك الفترة ومن ثم تأثيراتها على حياته الشخصية، ليعود بنا لذكريات ما زالت عالقة في اذهان من عاش في ذلك الحي ومن لم يعيش!!.. ولا يزال لتلك الايام وقع جميل وخاص في نفوسهم وربما تمتلكهم الحسرات وتدمع عيونهم كلما عادت الى ذكرتهم متمنين عودتها يوما .. ولكن..

رواية ابطالها .. (ميري) و(هاول) و(الاب توما) و(اوسي الجريء) والمشاكس(جوكي) و(وليم الخياط) و(محمد الاسمر) و(الجميلة بتي) و(البرنسيسة) و(جورج العجوز) وو وغيرهم الكثير ممن حاكوا بقصصهم نسيج حياة ملئها الحب وجمال الروح وعطر الاخوة ومن ثم ألم التشتت ..

ورغم ان الكاتب اهتم بشكل اكبر بحياة المسيحيين الاثوريين بعد انتقالهم الى الحي، الا انه احيانا يشير الى ما قبل تلك الفترة وتحديدًا تلك الظروف التي اجبرتهم على النزوح من مناطقهم حيث يقول في وصفه لها.. (كحال الفقراء والمعذبين دفعتهم الحاجة للبقاء الى النزوح من اماكنهم الاصلية الى اخرى غريبة، فعافوا الشمال الشاسع ليدوسوا مجبرين على ذكرياتهم ايام كانوا فيها يرون الشمس الكبيرة والجبال المخضرة والوديان الدافئة، وايام كانوا فيها قريبين من الله، لينتظموا مضطرين في (كمب الحبانية) ويعملوا عسكريين وعمالا وفنيين اتقنوا اشغالهم المتنوعة ليحطوا اخيرا جوار نهر دجلة عند احد بساتين النخيل في الدورة ببغداد).

لقد حاول الكاتب بأسلوبه المعبر عكس انطباعاته عن تلك الايام المحفورة في ذاكرته، وعلى ما يبدو انها أبت الزوال من مخيلته، وذلك يبدو واضحا عند سرده للقصاص التي كان يشهدها ذلك الحي ومنها احتفالات اهله بأعيادهم ومناسباتهم حيث يصف الكاتب اليوم الذي شارك فيه ابناء الحي لأول مرة احتفالهم بعيد (نوسرديل) او ما يسمى بـ(عيد الرشاش) فيعبر عنه قائلا:

( قد تكون هبة القدر هي من كانت تنتظرنا دون ان ندري، تلك الحياة التي ارتدى فيها الله ثوب السلام والمحبة، وارتدى فيها يسوع ثوب خلاصنا من خطايانا



لندور موزعين في سماء الشوارع، نركض من شارع لشارع، ومن بيت لبيت، ومن ممر لآخر .. حاملين جراننا واوانينا وطاساتنا وسطلاتنا حالمين ومتشوقين لاصطياد بعضا بعضا، وبلل بعضنا بعض محتفلين بيومنا العظيم.. اليوم الذي رأينا فيه انفسنا عن قرب، ويوم رأينا فيه الجميع عن قرب ويوم نرى فيه عظمة الحياة التي لنا).. وعلى ذلك الغرار يمضي الكاتب في وصف مناسبات واعياد اخرى تلك التي كان يحتفل بها اهالي الحي المسيحيون كعيد القديس مار كوركيس وعيد الصليب وغيرها..

وما يضيف للرواية هو ذلك الانطباع الجميل الذي ينقله الكاتب للتعاشيش الاخوي بين ابناء الحي الذي كان غالبيتهم من المسيحيين (الاثوريون) وبينهم عوائل اخرى عربية وكوردية. وما يضيف متعة للقارئ هو استخدامه لكلمات وتسميات اشيء باللهجة العامية تماشت مع البساطة التي اکتنفت الحياة في ذلك الحي، وعكست اكثر بهجة الحياة التي عاشها ابناءؤه.

وما يؤشر في النماذج الروائية استخدامها للشخصيات المسيحية بكون الرواية تمثل الجنس الادبي الاكثر قدرة على تطوير طموحات الانسان وتطلعاته وماسيه وعذاباته ومنذ تبلور هذا الفن الادبي، لم يقتصر ما افرزه من دلالات على مكان كتابة الرواية او على زمنها التاريخي الذي يؤشر للفضاء السردي بل ابدعت تلك الاعمال الادبية،

نماذج انسانية متخيلة عامة تضم تحديدات بشرية في اوج تصاعدها وفي قمة امكاناتها وتناقضاتها، لكن الامر الاكثر حضورا هو استثناء تلك الشخصيات التي تظهر من خلال الاعلام..

ومن النماذج التي يمكن ان نشير اليها ايضا بخلاف ما كشفته قراءة (رونين زيدل) المذكورة ما عبرت عنه رواية (سلاف بغداد) للروائي (محسن الموسوي) والتي عرضت عنها جريدة (الشرق الاوسط) السعودية قراءة موسعة نشرت بالعدد ١٣٩٣٠ والصادر يوم ١٧ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧ بقلم الكاتب (شاكر نوري) حيث تضمنت احدي شخصيات الرواية اسما مسيحيا للعالم العراقي (يوحنا السرياني) وهي احد الشخصيات التي تبتدئ معها الرواية التي تغوص في العديد من الالغاز والحلول بخلاف نافذة الغرابة التي يتيحها اللقاء بالعالم السرياني..

ومن الروايات التي افرزت شخصيات اهتمت باعتناق الديانة المسيحية نتيجة تناقض اربكها في رحلتها نحو الاستقرار بأحد البلاد الغربية تبرز رواية (سقوط الاقنعة) للروائي (كلكاش نبيل) ففي روايته الصادرة عن دار الفارابي يتحدث عن قصة واقعية لشاب مسلم يعيش ازمات الاقنعة ليتوصل اخيرا لاعتناق المسيحية حتى يشعر بما كان مفقودا في حياته التي قضم نصفها ضياعه في موجات المسلمين المتشددين..

وبينما تسهب وسائل الاعلام في موجة لم يمكن اغفالها لجموع من المهاجرين المسلمين ممن تبتسم لهم الحظوظ في الوصول لبلاد الغرب من الاندفاع لاعتناق المسيحية وبدء حياة خالية من ازمات التطرف والتزمت الديني الذي بات مسيطرا على دول الشرق مدخلا اياها في ازمات الحروب التي لا تنتهي..

ويثير الروائي (كلكماش نبيل) في صفحات روايته التي تتجاوز الـ ٤٩٥ صفحة جدليات عديدة من بينها اجواء التزمت الديني والنظرة الاحادية التي ينظر بها المسلمون الى الحيادية التي يبديها البعض دون الجري وراء الفروض الاسلامية لاسيما تأدية الصلاة او الصيام من خلال التحدث عن شخصية الطبيب المسلم الذي يحظى بفرصة الاقامة في المانيا دون ان يتورع لوصف شعبه بالكافر..

كما يصور الكاتب محنا عاشها مسيحيون وايزيديون تركوا بلادهم هربا من عمليات الاستهداف التي كانت تنال منهم ليستفيدوا من فرص الاقامة التي اتاحتها الدول الغربية، لكنه في المقابل صور بواقعية مفرطة اجواء عالم المهربين والفترات المتباينة التي يحظى بها كل فرد من اجل انتظار دوره في الحصول على فرصة الوصول لأرض الميعاد، وهو الوصف الذي يمنحه الروائي لبلاد الاوربية.. وينتهي مصير بطل الرواية الشيعي (علي الموسوي) لكي ينال المعمودية والانتماء لكنيسة محلية، وهو يعيش

ازدواجية حياته التي يقضيها ما بين تصويره للقوة التي فرضها الدين الاسلامي في انتشاره في العالم كما يخبر بذلك صاحب المعمل الذي يعمل فيه قبل حصوله على الإقامة او من خلال حديثه عن الايمان بالمسيح وعمله في مرات معدودة كواعظ للحديث عن رؤياه التي شاهد فيها المسيح..

ومع تلك الصورة الواقعية التي يمكن ان تتركها قراءة هذه الرواية، ففي المقابل هنالك صور مشوهة ابرزتها العديد من الروايات التي صدرت في غضون العامين ٢٠١٦ و ٢٠١٧ وتأتي في المقام الاول رواية (يوليانا) للروائي (نزار عبد الستار) فقد صدرت تلك الرواية بناء على استئثار موضوعة العدالة الاجتماعية على نتاجات الكتاب ولاسيما الروائيين من خلال توظيفهم لهذه الثيمة فيما يدونونه من روايات وحتى قصص حتى استحوذت على الانتاج الاكبر من ما يصدر سنويا ..

وتسقيطا لمقتضيات التاريخ الحديث فقد استلهم خليط من المفكرين، الية جديدة للشروع بمسح شامل للبيئة الاجتماعية للعدالة مع ما كانت تمر به الدول والبيئات المختلفة من صراعات نتاج الطبقات المتباينة في المجتمعات العاملة، فظهرت عبر القرن التاسع عشر انماط جديدة للتفكير بالعدالة ..

كل تلك المفاهيم المحيطة بالعدالة الاجتماعية زامنها الروائي العراقي ( نزار عبد الستار ) في عمله المهدى الى الذين حملوا الصليب وخرجوا من الموصل في ١٩ تموز من العام ٢٠١٤ وصدر بعنوان ( يوليانا ) .

في البداية يبقى اهداء الروائي ملتبسا اذا ما تأملنا في حيثياته ففي يوم ١٧ تموز من العام المذكور تداول الموصليون امرا شفها بضرورة ترك منازلهم بعد ما قاطع رؤساء الطوائف المسيحية اجتماعا دعا اليه قياديو تنظيم داعش للتداول بشأن فرض الجزية على سكان المدينة من المكون المسيحي وفي اليوم التالي الذي وافق الجمعة ١٨ تموز فر كثير من المسيحيين لكنهم تعرضوا لعمليات سلبهم ونهبهم في السيطرة التي اقامها عناصر التنظيم لتقل الاعداد الفارة من المسيحيين في اليوم الذي اشار اليه (عبد الستار) باهدائه رغم انه كان يضم المهلة المحددة من داعش لفرض خياراته بإرغام المسيحيين الباقين على اعتناق الاسلام وفي حال رفضهم فخير الحد بالسيف متاح دون ان تبرز حالات واقعية جراء هذا الاجراء المفروض..

اما في متن الرواية ذات الـ(٢٥٢) صفحة والصادرة عن دار نوفل في لبنان فهناك مغالاة في الشخصيات التي يسرد تفاصيلها مستعينا بخبرة متاحة من مناخات بلدة (كرمليس) حيث يوظف الشخصية الرئيسية التي تحمل عنوان الرواية وهي (يوليانا) التي ترتبط بعلاقة صداقة مع

القديسة الرئيسية للبلدة والتي تمثل شبيعة كرمليس وهي القديسة بربارة التي يحتفل بتذكارها في الرابع من كانون الاول (ديسمبر) من كل عام .

لقد حفلت شخصيات الرواية المذكورة بالكثير من التكتيف السردى في ايراد الاحداث والمواقع والتي يوظفها الروائي بشكل متسلسل حتى انه لا يتحدد بمنطقة (كرمليس) فحسب بل يتجاوز الى بلدات مسيحية سواء في منطقة سهل نينوى او في مواقع ذات اغلبية مسيحية عاشت بمدينة الموصل..

لكن هنالك من المآخذ التي حفلت بها الرواية نتيجة هذا التكتيف والتوظيف فلا يمكن ان يقع الروائي تحت طائلة وصف البلدة بانها تحتوي على اكبر عدد من المغفلين كما جاء في الصفحة ٣٨ او في الصفحة ذاتها التي اورد فيها اسماء كنائس سواء بطريقة خاطئة مثل مارزينا او كنيسة قلب يسوع التي لاوجود لها في المناطق المحيطة بالبلدة ..

التعاطف الذي ابرزه الروائي (نزار عبد الستار) مع (ججو) المعاق او مع نجله (حنا) تحت طائلة ابراز تعاطف الشخصيات الدينية مع ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل ابراز حاجة المجتمع لمفهوم العدالة الاجتماعية، يبدو بالأمر المناسب لكن نظرة الروائي العراقي تجاه الاخر المختلف في المكون والديانة لا تتيح تمرير ثقافة تقصي

الآخر، من خلال تلك النتائج وتستدعي جهدا كبيرا من نخبة مثقفينا وأدباءنا للاضطلاع بمهام التنوير ازاء الشخصية المسيحية التي عادة ما تكون نمطية في كتابات الروائيين والقصاصين، حيث لا تخرج من اطار الافراط بالسذاجة والتمسك بالتقاليد المتوارثة، كما مرر (نزار عبد الستار) نظرتة للمجتمع المسيحي لاسيما في هذه البلدة او عبر صور اخرى ملموسة في كتابات اخرين..

وقد ذكر احد المقربين من الروائي (نزار عبد الستار) بانه قرأ مسودة الرواية المذكورة في عام ١٩٩٨ بعد ان انجزها (عبد الستار) في منتصف التسعينيات ولم يرغب بنشرها..

لكن المثير في الامر ما ابرزه موقع المونيتور وهو وكالة صحافية عالمية نحو هذه الرواية في سياق تقرير نشر في تموز (يوليو) عام ٢٠١٧ ونشره (وسيم باسم) تحت عنوان (المسيحيون... "عودة مشروطة" إلى محافظة نينوى) حيث ادعى ان (نزار عبد الستار) هو مسيحي و اشار، بما نشره نضا قول الإعلامي والكاتب نزار عبد الستار (مسيحي)، الذي سلط الضوء على جذور المسيحيين الضاربة في أرض العراق ومعاناتهم عبر التاريخ في روايته "يوليانا"، لـ "المونيتور": "إن الغالبية العظمى من المسيحيين الآن تجد الملاذ والعمل في المناطق الكردستانية وأوروبا وأميركا، وإن عودتها يشوبها الكثير

من الحذر، نظراً لغياب الفعل الحكوميّ الموجّه. وإذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ البنية المسيحيّة في الموصل هي ريفيّة في طابعها العام، فإنّ المسيحيين عموماً لا يتلقّون الحماية الكافية ولا التيسير المطلوب من السلطتين التشريعيّة والتنفيذيّة في العراق. ولهذا، فإنّ العودة المسيحيّة اليوم تعتمد على المجهود الاجتماعيّ البحث".

لذلك تبدو الغرابة واردة في دمج الرؤية الاعلامية، بما تم انتاجه من نصوص ادبية حتى التيسر الامر على الكتاب والباحثين، وبناء على تلك الرؤية الملتبسة انتج ادباء وكتاب عرب رواياتهم خائضين ذلك المارثون الفوضوي في ابراز معلومات مغلوطة ومشوهة عن المسيحيين..

ومن تلك الشواهد ما قدمته الروائية الاماراتية (ايمان اليوسف) التي قدمت روايتها (حارس الشمس) لتكون صورة مشوهة عن مسيحي الموصل، ومنها ينطلق المثل الشائع (شر البلية ما يضحك)، حيث ينطبق تماما على السرد الذي قدمته اليوسف في سياق روايتها والتي تحدثت من خلالها عن مأساة مدينة الموصل حينما سقطت بيد تنظيم داعش . وسر البلية الضاحكة ان الروائية التي تكتب روايتها في ظل برنامج دبي الدولي للكتابة حيث انجزتها بإشراف الروائية (نجوى بركات) واستعانت في ظل عدم معرفتها بخفايا البيئة الموصلية بالعديد من المصادر التي تقدم



الاهداء لهم فضلا عن الاثار العراقية التي ما كان موجودا منها حتى عام فقط واختفى الى الابد .

وتتمحور الرواية حول شخصية موصلية تعمل في جامع النبي يونس (ع) الذي فجره عناصر التنظيم في الاشهر الاولى لسيطرتهم للمدينة، وتنطلق من بين السطور لغة موصلية تتيحها الروائية لترسيخ ما تبغيه وهي تتحدث عن المدينة السلية والتي لا تكتفي بانها توثق ما جرى فيها ابان سيطرة التنظيم لكنها تؤرخ لروايتها ازمة سبقت الاحتلال الداعشي حيث تطلق شخصية مقحمة في ازاء السرد الذي تقدمه من خلال شخصية الجندي المسيحي علاء لكنها تشوه الشخصية المسيحية التي كانت تقطن المدينة من خلال تذبذب الشخصية المذكورة وعدم استقرارها حيث تسرد الروائية احداثا خيالية عن هذه الشخصية لاسيما حينما تتحدث عن طلاقه فضلا عن استخدامه من قبل الحجي حسين منصور في تهديد عائلة من المكون الشيعي بغرض الاستيلاء على منزلها في المدينة..

وهنا تكمن البلية الضاحكة حينما تستحضر الروائية شخصية مسيحية طالما كانت الاكثر حضورا في مشاهد التهديد والخطف والقتل ابان السنوات التي سبقت تماما سيطرة تنظيم داعش على المدينة..

وهذا الامر يتوجب ان يكون مؤشرا من قبل النقاد العراقيين الذين لم يشيروا الى ضعف النتاج الخليجي ازاء المحنة التي عاشها العراقيون برغم ان لأصدقاء المحنة التي عاشها العراقيون محاور عديدة في الاعلام العربي وكيفية التعامل معه خصوصا وان محنة المسيحيين حينما هجروا قسرا من مدنهم لم تكن في محور الاحداث الرئيسية التي اصدت لها الفضائيات العربية وبالتحديد المختصة بنقل الاخبار والاحداث العربية كفضائيتي (الجزيرة) القطرية و(العربية) السعودية، واللتين كانتا مشغولتين بنقل الهجوم الاسرائيلي على مدينة (غزة) الفلسطينية دون ان يكون هنالك حيز ولو بسيط لحرف النون الذي وسمه الدواعش على بيوت المسيحيين والدمار الذي الحقوه بكنائسهم واديرتهم حتى وما بعد التحرير..

كما في السياق ذاته نخرج على رواية اخرى صدرت مطلع عام ٢٠١٧ وكانت بعنوان (على مائدة داعش) وهي الرواية الاولى للروائية السورية اللبنانية (زهراء عبد الله) وقد عمدت الكاتبة لتوثيق جرائم تنظيم داعش بحق الايزيديين، حيث تستحضر الروائية بتجربتها الروائية هذه شخصية فتاة ايزيدية تدعى (يوفا)، وما تعرضت له عند دخول التنظيم لقريتها في (سنجار) ورحلة سببها الممتدة ما بين الرقة ومدينة الموصل ..

وفيما تؤكد كاتبة الرواية ان جميع الشخصيات الواردة في سياق سردها خيالية، الا ان ما استوحته من مناخات الرواية وبيئتها جاء عن طريق ابحاث مكثفة حول ما جرى لمئات الايزيديات وشهادات الناجيات منهن .. ولم يقتصر سرد الرواية على شخصية يوبا ومعاناتها فحسب بل اقحمت الروائية شخصية فتاة مسيحية تدعى ماريا وذلك في الصفحة ١٤١ حينما عادت يوبا من رحلتها القسرية من الرقة للموصل واشتراها امير افغاني يدعى (سيف) حيث تشير الكاتبة الى ماريا زوجته دون ان تشير بالمقارنة لمصير يوبا كسبية مثلما كررت تلك المفردة مرارا..

ورغم ان ماريا تقول ليوبا ( اننا متشابهتان) .. وتعيد ما قالته مجددا حينما تقول حتى لو انك ايزيدية وانا مسيحية نحن متشابهتان حيث تستعرض ماريا شهادة مبتورة عما حل بأقربائها من مسيحيي الموصل فتقول انقلبت الموصل منذ دخول التنظيم، كثير من الناس هربوا ومن لم يستطع الهروب بقي في منزله واعتقد بأنه اذا لم يخالف قواعدهم سينجو الا ان الامر ليس بهذه السهولة مع هؤلاء الكائنات..

وتضيف ماريا في شهادتها عشنا اسوا ايام حياتنا لقد خيرونا بين ان ندفع لهم جزية او ان ندخل الاسلام وهناك عائلات خيروها فقط بين الاسلام او الرحيل وقاموا

بتجاوزات لم يستطع احد الوقوف بوجههم تخيلي انهم كتبوا على كل بيوتنا حرف (ن) كعلامة (ولا تذكر مغزى الحرف ولماذا كتب)..

وتحدثت عن ارغامها على الزواج من الامير الافغاني (سيف) بعد اعتقال ابيها وكأنها تذكر الشي الايجابي في هذا الامر حينما قالت لو كنت مكاني ماذا ستفعلين ؟

وفي سياق الرواية تسرد الروائية عددا من المشاهد التي تؤكد انسجام ماريا مع زوجها المفترض بالمقارنة مع معاملته ليوفا الايزيدية حتى ينتهي حضور ماريا بالفرار مع سيف الافغاني الذي يأمر احد اتباعه بالقول خذ السبية الى بيت امن، وفي ما بعد ترسلها الي..

هذه الصورة الملتبسة حول المسيحيين، وتقديمهم في سياق الرواية كأنهم يتعاونون مع التنظيم ضد الاخرين ممن ذاقوا الامرين، تجعلنا نضع مئات الاسئلة حول المغزى خصوصا وان الرأي العام تعامل ايضا بازدواجية، حينما مرر ذكر الابداء التي تعرض لها الايزيديون دون ان يذكر ذات الشيء فيما يخص المسيحيين الذين عانوا من محنة النزوح الشيء الكثير..

كما ان الرواية تتعامل مع ارغام المسيحية ماريا بالزواج من الامير الافغاني وكأنها تعتبره امرا اعتياديا للغاية وهذا نابغ من بيئة الكاتبة دون ان تتمكن اباحتها من كشف اغوار البيئات الاخرى في العراق مثلا وكيفية

تعاملها مع زواج المسيحية من مسلم او بالعكس وهذا برائي نابع من تقصير الاعلام في التعامل مع هذه القضية المشحونة بالكثير من المعطيات والتي راها الراي العام من جانب القرارات السياسية من خلال ازمة قرار اسلمة القاصرين الذي شغل الراي العام لفترة وانشغلت العديد من الاحزاب والكيانات باثارها حتى خفت وطأته ولم يعد اي شخص يتطرق للأمر وكأنه اصبح امرا واقعا دون ان يكون هنالك مثل تلك الضجة في الاستمرار بإيجاد حلول ومعالجات ليست مقتصرة في التعامل مع هذا الامر، فحسب بل مع غيرها من الامور التي ينبغي ان يكون الادب نافذتها للحديث عنها والتطرق اليها مثلما حظيت مأساة الايزيديين بالكثير من التعاطف الذي دفع بتلك الكاتبة اللبنانية السورية لإبرازها في عملها الادبي بالمقارنة مع ما تعرض اليه المسيحيون والذي لم يأخذ حيزا في المشهد الادبي الا باستثناءات قليلة..

ولا يقتصر الامر على الروايات التي ابرزت جوانب موسعة من محن المسيحيين على اثر سيطرة تنظيم داعش، فحسب، بل هنالك رواية (بندقية ابي) التي قدمها الروائي (هنر سليم) وصدرت في شباط (فبراير) عام ٢٠٠٤ باللغة الفرنسية، وترجمت لأكثر من ٣٠ لغة في شتى انحاء العالم.. حيث حققت على وصف مترجم العمل الى اللغة العربية (سعيد محمود) نجاحا كبيرا في اوربا وامريكا

حيث نشرت الرواية بترجمتها العربية في عام ٢٠١٥ ومهما تحدث واسهب المترجم عن النجاح الذي اصابته الرواية المذكورة والتي حملت طابع سير ذاتية من خلال ما اشار اليه مؤلف الرواية من نضال الكورد وجهودهم لتأمين الحكم الذاتي لمناطقهم في شمال العراق الاضطهادات والاستهدافات التي نالت من كثيرين خصوصا في فترة حكم نظام البعث ..

لكن في المقابل عمد الكاتب (هنر سليم) لتهميش النضال الموازي والذي ابرزه المتعايشون من المكونات الاخرى في الاقليم فيقتصر بالإشارة الى نادل اشوري في احد البارات في احدى مدن الاقليم ..

واذا ما استأثرت الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ بالاهتمام والتمحيص والدراسات فقد ذكر عن ذلك الاكاديمي الدكتور (عبد الستار جبر) في سياق عدد خاص من مجلة (الاقلام) اهتم بالرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ وصدر في حزيران ٢٠١٥ بالعدد الثاني من السنة (٥٠) فيقول (جبر)بانه منذ ذلك العام بدأت الروايات تتوالى بالصدور حتى بلغ عدد الروايات الصادرة خلال ١٢ عام ما يقرب من ٦٠٠ رواية في مشهد لم يألفه تاريخ العراق الحديث يمثل هذه الكثافة ..

ويتابع الدكتور (جبر) في مقالته المنشورة بمجلة (الاقلام) بان هذا المشهد يقودنا للبحث عن اسباب هذا

التحول باعتبار ان العرق يعتبر امة شعر مضيضا بان العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطل براسها على الفور لكنها ليست بالكافية لتفسير هذا الحراك الفاعل والمتساعد في انتاج الرواية، فثمة تحولات دراماتيكية في المشهد العراقي منذ عام ٢٠٠٣ حيث افرزت تجاذبات وتقاطعات وتناقضات سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية وفكرية احتدمت فيما بينها ولازالت، عصفت على ما يبدو بسكونية الذهنية العراقية التي نجحت الدكتاتورية وانظمة الحكم السابقة قبل هذا العام بتوطيدها الى حد ما..

لذلك فقد برزت من خلال النماذج الروائية والتي عرفها المشهد الثقافي العراقي لما بعد عام ٢٠٠٣ مستويين متنازعين من الاحداث السرديّة، التي عادة ما استعانت بالشخصية المسيحية كمحور يكاد يكون رئيسيا ومرتكزا لتبلور الاحداث الرئيسية، او تارة تكون تلك الشخصية ذات دور ثانوي..

وغالبا ما تكون المستويات ذات نزوع نحو استجلاء فترة نظام حكم البعث وفيها كان يبث المسيحيون هواجسهم وارهاصاتهم سواء من كان يسعى لمسايرة تلك الفترة مرغما ليؤدي ادوارا فضفاضة عليه مثلما تبدو شخصية (ابو يعقوب) في رواية (سقوط سرداب) للروائي (نوزت شمدين) والشخصيات المهادنة التي ابرزتها الروائية (غادة صديق) او ذات بعد حميمي عبر شخصية المسيحي في

رواية (شتات نينوى) لتكون تلك الشخصيات التي اكتنزتها روايات ما بعد عام ٢٠٠٣ بمثابة معايير ثقافية جاهزة، تجعل الانسان موضوعها الرئيسي، في ظل كبح التفرد ومحو الميراث الاسطوري واحلال نظام الطاعة والخوف محل الشراكة والانتماء الذي بقي في اغلب تلك الروايات حبرا على ورق..



## **الفصل الثالث**

# **وسائل الإعلام البديلة في ظل نزيف الهجرة**



في ظل ما عاناه المسيحيون من غياب الاستقرار، وتوالي استهدافهم الامر الذي دفعهم لاختيار ترك البلد واتخاذ خيار الهجرة كحل للاستقرار في الكثير من المنافي، وازاء هذا الواقع اصبح امام المسيحيين البحث عن وسائل بديلة لمد جسور التواصل بينهم بعد ان تشتت العائلة واصبح كل او اكثر من فرد يستقر في بلد دون اخر، فتم الالتفات للإعلام الجديد من خلال ما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية، من منافذ مناسبة لإذكاء جسور التواصل..

ويخلص هذا الفصل الى التمسك بسبيل المواقع الالكترونية لقدرتها على الاستئثار بشعبية هذا الامر من خلال اتاحة الاجهزة الخاصة ما بين طرفي المصدر والمستقبل أي ما بين ابناء المكون سواء اكانوا داخل الوطن او ممن يستقرون خارجه مع الاخذ بنظر الاعتبار قدرة تلك المواقع على التمسك بالحيادية المهنية في التعبير عن هويتها الاعلامية..

لقد تسنى لي ان اقي البحث المدرج ادناه في مناسبة عيد الصحافة السريانية في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) حيث رعى احتفالية بالمناسبة اتحاد الادباء والكتاب السريان في عام ٢٠١٦ ببلدة عنكاوا بمدينة اربيل، ولا ضير في ان اعيد نشره لكي يتم تسليط الضوء على اهمية المواقع الالكترونية في قدرتها على احداث التواصل المناسب ما بين ابناء شعبنا داخل الوطن او خارجه ..

وقبل الولوج في موضوعة البحث لابد من الاشارة اولا الى ما كانت عليه اجواء الصحافة في منطقة سهل نينوى قبل سيطرة تنظيم الدولة الاسلامية، فقد منحت اجواء التغيير التي شهدها العراق في عام ٢٠٠٣ الصحافة، فرصة للبروز بشكل واسع من خلال اصدار المئات من العناوين المتعلقة بالصحف والمجلات والتي تناولت الشأن السياسي اضافة لاصدائها للشؤون الثقافية والاجتماعية التي كان البلد يشهدها، ومن تلك المناطق التي شهدت ازدهارا في صدور الصحف والمجلات فيها منطقة سهل نينوى التي تضم اقصية تكليف والحمدانية وما يتبع هذين القضائين من نواحي وقصبات، كبرطلة والقوش وتلسقف وغيرها ..

والسمة التي كانت تمتاز بها تلك المناطق، خصوصيتها بالنسبة للمكونات القاطنة فيها لاسيما المسيحيين والايديين، ونختص بالصحافة المسيحية التي

كانت تصدر في هذه المناطق كونها انبثقت من خلال الكوادر الثقافية التي كانت لها اسهامات قبل عام ٢٠٠٣ في الصحافة العراقية، من خلال نشرها في عدد من هذه الصحف، لكن اجواء الحرية التي تعززت عام ٢٠٠٣ لم تفسح المجال لبروز صحف في هذه المنطقة تمتاز بطابع الاستقلالية فضلا عن التميز باصدار صحف ناطقة باللغة السريانية كونها تمنح طابعا مميزا للصحافة الصادرة في هذه المناطق..

لكن كان لبعض تلك المطبوعات ان تتصدى لهذا الامر بتخصيص صفحة او صفحتين للنشر بهذه اللغة، اذ ان اغلب الصحف كانت تتبع الاحزاب وتعد لسان حالها بالإضافة لاهتمام ملحوظ في تناول الشأن الثقافي دون الميل للخوض في اتجاهات السياسة او تحليل ما كان يجري على سطح الاحداث، الا في تكثيف الآراء بشأن الحضور المسيحي في الشأن السياسي والدعوة الى الاهتمام بالمكونات من خلال توفير الحصص المناسبة للتمثيل السياسي في اروقة الجهات التنفيذية والتشريعية والقضائية ..

ومع بروز عشرات العناوين الصحفية التي كانت تصدر في مركز قضاء الحمدانية (قرهقوش) سواء تلك المعنية بإبراز الجانب الاجتماعي للقضاء، او صدور العديد من المطبوعات برعاية المؤسسات الكنسية في هذه المنطقة،

يضاف اليها العديد من العناوين التي كانت تصدر في ناحية برطلة او في بلدة تلسقف، الا ان اغلب تلك العناوين لم تسنح لها الفرصة بمعاودة صدورها بعد سيطرة تنظيم داعش على تلك المناطق، بعد ان تعرض القائمون على اصدارها لمحنة النزوح وتشنت اغلبهم سواء في مدن الاقليم او في اختيار ملاذات اخرى خارج العراق دون الالتفات للدور التاريخي والتوثيقي الذي تلعبه الصحافة في ابراز تلك المأساة التي عاشها المسيحيون بترك مدنهم ومناطقهم التي كانوا يعيشون فيها قبل الالف السنين..

فقد عالج الاعلام خصوصا في ثورته التقنية الحديثة، الكثير من الثغرات التي برزت جراء الابتعاد عن التواصل بين البلاد والاطوان، ليسهم هذا الامر بجعل العالم قرية صغيرة وهو المفهوم الذي انتشر قبل عقود من الزمن، ليؤكد ووفق اسس ومرتكزات شاركت فيها حقوق منها حق الحصول على المعلومة، وتداولها فضلا عن بروز الملكية الفكرية جراء تداول تلك الحقائق التي اعتبرت من اساسيات الاعلام..

وبناء على انتشار وسائل اعلام غير تقليدية، من خلال الاجهزة الالكترونية التي شكلت تهديدا صريحا للعديد من المنافذ الاعلامية، لتسهم بالتالي تلك الاجهزة في اخراج بعض من الوسائل التقليدية خارج اطر خدمتها كالإذاعات

وبعض الصحف الخاصة بأبناء شعبنا، لكن بقي البحث جادا ومتوصلا عن وسائل تواصل فعالة تعمل بشكل جلي نحو مد جسور الترابط الاجتماعي والديني والثقافي، سواء من بين من اختار بلاد المهجر مستقرا له او بين من رسخ بقاءه في ارض الوطن ..

لقد حظي الاعلام بالعديد من التوصيفات والتعريفات لكن كل تلك التوصيفات لم تخرج من واقع وصف الاعلام بكونه شكلا من اشكال التواصل القائمة على العالم الرقمي من اجل التعريف بدور الاعلام الجديد والذي يشتمل على النشر بوسائط متعددة منها الاقراص المضغوطة والفيديو الرقمي والانترنت والاعتماد على استعمال الحواسيب والشبكات اللاسلكية وغيرها من المنافذ الالكترونية .

لكن بقي هذا الاعلام رهين الاستخدام السلبي في اكثر منافذ استعماله بحيث لم ينجح في ان يكون الاعلام الفعال لتأكيد مهمته بالتواصل بين الداخل والخارج لينتشر هذا التوصيف عبر المواقع الالكترونية التي حملت واجهاتها تعريفيا بمهمة لم شمل ابناء شعبنا لكن بعد توالي مسيرتها الاعلامية، وجدت تلك المواقع انها محاصرة بالتحديات والمعوقات من اجل الانتشار الاوسع بين صفوف ابناء شعبنا من خلال مفهوم التعددية التي وجدها الآخرون كمصدر قوة واسهام لتفعيل الدور الاعلامي من خلال التنوع الفكري

والثقافي مما تتمتع به صفوف ابناء شعبنا، وهي ايضا تعد من العوامل الحاضرة في ثقافات الشعوب وحضاراتهم لكنها في الوقت ذاته حالت دون اندماج كامل مع ما شهده العالم من متغيرات ومستجدات طرأت على واقعه في ظرف العقد الاخير .

ولعل الانموذج الاسلامي فيما شهده المسلمون على سبيل المثال نحو انطلاقهم للعالمية باستخدام قنوات التواصل الفكري من تأليف وترجمة ونشر كتب لكن في المقابل تراجع العثمانيون ومعهم اجزاء واسعة من هذا العالم لنحو قرنين ونيف عن مواكبة تلك الحركة الادبية جراء وجود فتوى تحرم انشاء المطابع حيث لم توجد مطبعة في (اسطنبول) الا في العام ١٧١٢ الميلادي اي بعد مضي ما يقارب الثلاث قرون على اختراع المطبعة ..

وازاء ما تقدم من نموذج للتراجع الفكري والاعلامي وبالمقارنة والمقاربة مع واقعنا حيث صدرت اول وسيلة اعلام خاصة بأبناء شعبنا وذلك في العام ١٨٤٩ حيث صدرت جريدة (زهريري دبهر) في اروميا بإيران حيث جاء صدور هذه الجريدة كردة فعل لتوالي اصدار الصحف المختلفة اللغات واللهجات في تلك الحقبة لتكون نوافذ معرفية حيث مثل صدور الجريدة المذكورة في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) فرصة للتعريف بمحاور فكرية مختلفة



من اللغة والادب والجغرافيا فضلا عن تضمينها تعاليم دينية والتبشير بالدين المسيحي حيث تزامن صدور الجريدة مع انطلاق مرحلة من المبشرين القادمين الى تلك الديار .

وإذا ما قارنا بين اجواء صدور جريدة (زهيري دبهرا) والاجواء التي انعشت صدور عدد من الصحف الخاصة بأبناء شعبنا خصوصا داخل الوطن فان ما حازته المحاولة المهمة والجادة ازاء صدور اول مجلة عراقية وكانت مجلة (اكليل الورود) التي انطلقت من مدينة الموصل وصدرت بثلاث لغات كان اول تلك اللغات العربية حيث صدر عددها الاول في شهر كانون الثاني(يناير) من العام ١٩٠٢ وقد عالجت المجلة المذكورة العديد من القضايا التي تعني بالمواد الادبية والاجتماعية والعمرائية لكنها لم تحد عن خطها العام في الاهتمام بالجانب الموصلوي ويضاف اليها اهتمامها الرئيسي بالأمور الدينية..

وتباعا فقد ظهرت اعداد من المجلة باللغة الفرنسية وذلك في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦ كما صدرت اعداد من المجلة باللغة السريانية لتستمر بالصدور حتى تاريخ احتجاجها في العام ١٩٠٧.

ويحفل التاريخ الصحفي بعناوين بارزة اسهم بإصدارها نخب اعلامية لكن بقي التساؤل مرهونا بمديات ثبات

الصحف الورقية خصوصا في راهنا الحاضر، ومع تأكيد تلك الاهمية للصحف في قدرتها على التوثيق وارشفة الاحداث التي مر بها شعبنا خصوصا وان هنالك الكثير من الصحف الورقية التي اختفت في ظل الازمة التي عاشها ابناء شعبنا بعد المحنة التي عاشوها جراء تركهم لديارهم ومناطقهم في صيف العام ٢٠١٤ بعد سيطرة تنظيم داعش الارهابي على مدينة الموصل ومناطق سهل نينوى..

لذلك بقي التشبث ببيروز صحيفة تواكب تلك التطورات مرهونا بتجارب عربية اسهمت في هذا المحور ومثالنا في ذلك الصحيفة السعودية (الشرق الاوسط) التي واصلت اصدار طبعات خارجية لها في عدد من الدول ومثال على ذلك ما اقدمت عليه من تجربة اصدار طبعة خاصة بمدينة اربيل في نهاية شهر اذار (مارس) من عام ٢٠١٦.

وازاء ما تتيحه تلك النظرة جراء اصدار طبعات دولية لجريدة فان اشكالية التوزيع تبقى العائق الاكبر الذي يواجه التفكير بأمر الصحيفة الورقية فالتوزيع بات المعوق الاكبر لتواصل الادباء والكتاب من ابناء شعبنا فيما بينهم فحركة النشر الدؤوبة التي تعمل عليها بعض المراكز الثقافية ودور النشر لا توازي حركة التوزيع المطلوبة التي ينبغي معها ان تخصص كميات من النتاج الفكري

والادبي مما تنتجه مطابعا في الداخل ليسهم بقراءته والتواصل معه ابناء شعبنا في الخارج والعكس يصح ايضا.

ومن خلال ما تقدم يبقى التشبث بالمواقع الالكترونية في الوقت الراهن افضل الخيارات المتاحة بتامين الحلقة المفقودة من جسور التواصل المطلوبة ولكن وفق شروط ومحددات تسهم ببقاء تلك الجسور متاحة ونشريحة كبيرة من المتلقين والمتابعين وذلك بالإبقاء على التداول لأخبار معينة دون غيرها مما يتيح عدم اثاره القضايا الحساسة فضلا عن الاسهام بتأكيد الحضور في مختلف المناسبات الاجتماعية والتفاصيل المحيطة بها وهذا الامر الذي يعمق نسبة التواصل بين مختلف الشرائح والفتات المجتمعية ..

ولا يغيب عن الاذهان الدور الاساسي والمهم مما يتيح الدور المعرفي للشبكة العنكبوتية والتي اصبحت معها الحاجة لمجتمع المعرفة متزايدة، وما دمننا في محيط مجتمع المعرفة فلا بد لمخرجاته ان تصب في الاقتصاد المعرفي لمضاعفة الوجود لمرجعية قيمة لهذا النوع المتجدد من الاعلام والتي لابد ان تكون ملتزمة بالمعايير المهنية الواضحة والخاضعة لتقاليد العمل الصحفي المحددة.

وهكذا تبدو الحاجة لتلك المواقع الالكترونية كوسيلة ملبية للتواصل المطلوب بشروط الابتعاد عن اثاره كل ما يثير المشاكل والقضايا الحساسة التي يثار الجدل فيها لمجرد الجدل فحسب مع ضرورة ابعادها عن محيط الصفات الحزبية لزيادة اسهم تلك المواقع وتلعب تلك المواقع الدور الحيوي الذي كانت تمثله في عهد ماض مجلة (الفكر المسيحي) حينما كانت تواري رسالتها الاعلامية بالكثير من الكلمات المنمقة والمصطلحات لتبعد انظار الرقيب عن ما كان يعيشه المواطن المسيحي من هموم التسلط وتهميش الهوية الدينية والذي كان سائدا في العراق ابان حقبة الثمانينات ..ومما تقدم تبدو المقترحات في سبيل تعزيز دور التواصل بين ابناء شعبنا تتلخص في النقاط التالية:

١-الاهتمام الفعلي بإنشاء موقع الكتروني (ويب سايت) كون هذا الموقع يتيح لمختلف الافراد التواصل معه سواء داخل وخارج العراق و تتبناه النخب الثقافية والاعلامية التابعة لأبناء شعبنا دون ان تشارك فيه الاحزاب والكيانات السياسية باعتبار ان مثل تلك الرؤى الحزبية يمكن لها ان تحيد عن الحيادية المطلوبة لكي تتبلور فكرة مثل هذا الموقع باتجاه تبني المصداقية والمهنية في طرح القضايا ومناقشة التحديات التي تواجه هذا المكون سواء من داخل الوطن او خارجه.

٢-السعي الجاد لإيلاء دور الاعلام من خلال عدم اقحام القضايا الحساسة التي تثير الكثير من الآراء المتعكسة والجدل في تبنيها بل الاخذ بنظر الاعتبار اعتماد القضايا الوحدوية التي من شأنها توحيد الرؤى في مستقبل امن للعيش في الوطن وفق اسس المواطنة الحقيقية وبعيدا عن حلقات التهميش والاقصاء التي تعود عليها ابناء شعبنا خلال محطات الدولة العراقية .

٣-يتبنى الموقع المفترض اجراء الدراسات واعداد الاحصائيات المطلوبة التي يمكن ان تشكل واقعا لما يقدم خلاصة عن القضايا ذات الصلة بأبناء شعبنا ويمنح الصورة المناسبة لأوضاعه دون التحدد بواقع عيشه في الوطن مع التوسع بإعطاء مثل هذه الصورة الدقيقة عن اوضاع ابناء شعبنا في المهجر .

ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان نناقش مسارات اعلامنا وقدرة وسائله في ربط المشاهد بغض النظر عن اختلاف فئاته العمرية بالواقع الذي يعيشه ورغم ان المؤشرات التاريخية تدعونا للتأمل في الثورة التي قادها انفجار التكنولوجيا المرتبطة بالتقنية والاتصالات المتقدمة وما اتاحه الانترنت من انتشار واسع فقد بدأت معه الاجيال اللاحقة تسعى لان تكون الاقدر والاسرع في ولوج الفضاء الخارجي بشعورها بذاتها، وعبرت عن رؤيتها وتفاعلها مع

التجريب بعيدا عن كل القيود التي تفرضها الاسرة او الدولة او المجتمع..

ولكن قبل ان نشير الى امكانية التواصل الممكنة فيتوجب ان نتساءل حول امكانية التواصل الممكنة وتعامل الاجيال اللاحقة مع التقنية الحديثة ومجتمع المعرفة والمعلومات فلذلك لا بد لنا ان نبدأ مع تاريخ تلك الوسائل الحديثة التي ابتدأت مع بدايات العاب الفيديو التي كانت في الغرب منذ عام ١٩٧٠ لكن انتشارها الحقيقي جاء بعد ذلك بعقد كامل حيث دخلت اجهزة الكومبيوتر الى المنازل والمدارس وتنوعت الالعاب، فأصبحت ذات طابع رياضي او تتخذ نماذج عنيفة تحوي مشاهد القتل والتدمير او احيانا تكون تلك الالعاب على شكل فنتازي وخيالي او تتخذ جانبا تعليميا بحثا الى اخره من اشكال وانماط الالعاب حتى تطورت تلك الالعاب لتتخذ تقنية التحريك والجرافيك وكذلك الافكار..

وهناك دراسات مهمة تتناول اهمية الالعاب الالكترونية وتأثيرها السلبي او الايجابي على شريحة الناشئين، ويمكن ان نستخلص من تلك الاثار، بشأن ايجابية الاحساس المكتسب للأطفال بتحقيقهم الانجاز وتنمية قدراتهم المعرفية والادراكية وازافة لقدرتهم على التخطيط والتعامل مع المواقف لاسيما غير المعتادة ..

فيما بينت الآثار السلبية اهمال الاطفال الالتفات لجوانب تعليمهم الرئيسي، من خلال اكمال واجباتهم المدرسية وتفضيل هذه الالعب على غيرها من التزاماتهم فضلا عن تنمية الميول العدوانية خصوصا باتخاذ العاب العنف التي تنتشر في هذه الالعب والتي يقبل عليها الاطفال في الوقت الذي تفرض المشكلات الاسرية التي يفرضها ضعف تفاعل الطفل مع محيطه العائلي ..

ومع كل ما سبق ينبغي التأكيد على الانتشار المتحقق لتلك الالعب وما تتيحه شبكات الانترنت، من انتشار تلك الالعب فضلا عن الدور الرئيسي الذي تحققه مواقع التواصل الاجتماعي الذي يشكل منظومة متكاملة، يعيش داخلها الطفل او حتى الداخل لمرحلة الشباب لا يمارس الالعب فحسب بل لتداول المعلومات بكل حرية وشفافية حيث قام (الفيس بوك) كموقع رئيسي من مواقع التواصل الاجتماعي بالتجاوز على المجتمعات من خلال ليس سماحه بولوج عالم المعرفة فحسب بل تجاوز الكثير من المواقع التي تثير الجدل..

لكن مع هذا الواقع يبدو السؤال واقعا في ان يكون استخدام تلك الفئات لمواقع التواصل الاجتماعي تحت غايات مثل قتل الوقت، ومجرد التسلية، ام لمجرد تبادل المعلومات وتداول الاخبار باعتبار موقع (الفيس بوك)

اصبح جريدة بدون اشراف رئيس تحرير عليها خصوصا وان الشباب والاطفال باتوا يعيشون بيئة غير مقتصرة عليهم وفي ظروف لا تعتبر من الظروف المناسبة لهم..

فلذلك يتوجب ان يكون للواقع الافتراضي الذي ينشا من خلاله التواصل بين المتلقي وتلك الشبكة الافتراضية الكثير من المحاذير خصوصا، باعتمادها لدى كل مرحلة عمرية مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الطفل يتعامل دون ادنى وعي او توجيه وبلا حساب للوقت ولا معايير عمرية ولا اية مراقبة من اي نوع في ظل تفشي الامية المعلوماتية، لدى الكثير من ارباب الاسر وانشغال افرادها براهن الظروف الاستثنائية، التي عاشوها جراء محنة النزوح والتهجير سواء فيما يتعلق بأبناء شعبنا داخل الوطن او انشغال اولئك الافراد بملاحقة الرزق في البلاد التي استقروا فيها ..

ونعود لعالمنا العربي الذي يفتقر للأسف الى البيئة العمومية لأوساط ابنائنا وشبابنا حيث تغيب عن الواقع كم الساعات التي يقضيها الشباب العربي او الاطفال امام اجهزة الحاسوب والاتصالات من اجل ممارسة العابهم وتداول المواقع الالكترونية التي سواء تخص عالمهم او تتجاوز ذلك بكثير..



لكن هذا الامر لا يتقاطع مع كون موقع التواصل الاجتماعي الاول ممثلا بالفيس بوك اصبح اليوم وفي غمرة الراهن الذي يعيشه الشباب متنفسا كثير الاهمية في حين ان الاوساط السياسية في كثير من الدول التفتت لهذا الموقع ورسخت اهميته في تقصي سبل غياب الشفافية في بلادها وتغييب اطر الديمقراطية، فاطلقت من خلال هذا الموقع الافتراضي كثير من المظاهر التي تعمل على تغيير الواقع والكثير من نماذج التغيير اثبتت دور الفيس بوك في تسيير التظاهرات التي حدثت عام ٢٠١١ والتي بدأت بشكل تظاهرات ومن ثم تحولت لاعتصامات قبل ان تنتهي بشكل ثورات اطاحت بالعديد من الرموز السياسية في اليمن او مصر او ليبيا او غيرها من الدول ..

وبعيدا عن افق التواصل الاجتماعي، فان المحتوى الثقافي المختص بالمكون المسيحي خصوصا تلك التي تعرض عبر البرامج المخصصة للأطفال يكاد يكون البحث عنها موازيا لعملية البحث عن ابرة في كومة قش كما يشير المثل الشائع، وهذا يتأتى من غياب التخطيط لكل المواد الاعلامية التي تستهدف شريحة الاطفال بغياب مقومات المحتويات المناسبة وفرضية العثور عليها لملاءمتها ومناسبتها..

فقد اكدت الدراسات المختصة بحقل الاعلام التلفزيوني ان اطلاق قناة تلفزيونية بات امرا يسيرا لا يتعدى سوى قرار اطلاق تلك القناة وحفنة من النقود التي تضمن حيزا في قمر صناعي عربي او غربي ولم تعد تلك العمليات مقتصرة على حكومات ودول بعينها، بل اصبحت فرصة امتلاك قناة تلفزيونية مرهونة بالمؤسسات والافراد على حد سواء بعد ان اصبح توفر مكان صغير، قد يكون شقة متواضعة مناسبة لإدراج مكائن تسمح بتبادل شرائط تعرض تلقائيا او تقنية بث لمتحاورين على منضدة يواجهون الة تصوير تلفزيوني اي كاميرا..

وبالعودة الى بدايات البث التلفزيوني التي يرقى تاريخ انطلاقها لهيئة الاذاعة البريطانية المعروفة بالبي بي سي وذلك في عام ١٩٣٦، حيث عدت الهيئة المذكورة اولى المؤسسات التلفزيونية التي قدمت التصوير والبث الحي من خارج الاستوديوهات المغلقة وبذلك حققت البي بي سي تفردا لا يقارن بما حققه الالمان حينما اكتشفوا خدمة الارسال التلفزيوني وذلك قبل عام من مبادرة هيئة الاذاعة البريطانية ..

ولكن مع عام ١٩٣٩ قامت فرنسا بتدشين اول محطة للإرسال التلفزيوني منتظمة وذلك من خلال برج ايفل الشهير، اما بالنسبة للبلاد العربية وتحديدا بلدنا (العراق)

فقد كان الاخير من اوائل الدول العربية التي باشرت بإطلاق اول بث تلفزيوني وذلك في مطلع ايار (مايس) من عام ١٩٥٦ حيث كان ارتباط هذا البث بمشاركة شركة (باي) البريطانية في معرض استضافه العراق وقامت الشركة فيما بعد بتجهيز البلد بأجهزة بث اقتصرت على حدود العاصمة العراقية (بغداد) لتتعلق تلك الاشارات للوصول الى حدود اوسع مع اواخر الستينيات حيث شملت مدن الموصل والبصرة وكركوك..

ومع هذه المساحة التاريخية التي قدمناها حول البث التلفزيوني فان كل الاشارات المرتبطة بهذا الواقع الارسالي وبث المواد الاعلامية التي تخص ابناء شعبنا لم تظهر بشكل جلي وواسع الا بعد عام ٢٠٠٣ حينما ظهرت فضائيات تهتم بالجانب الاعلامي الخاص بالمكون المسيحي مثل فضائيتي (اشور) و(عشتار) حيث التفتت تلك الفضائيات للتخصص ببث جانب من برامجها باللغة السريانية، واعدادها للتغطيات الاعلامية المختصة بأماكن تواجد ابناء شعبنا واظهار الاهتمام المناسب بتلك البلدات في حين كان هنالك توجه ولو جزئي بإتاحة فاصل زمني محدد للبرامج الخاصة بالمكونات في الفضائية شبه الرسمية ممثلة بفضائية (العراقية) التابعة لشبكة الاعلام العراقي، رغم ان هذا التوجه الجزئي لم يفعل بشأن

المحتوى المناسب لفئة الاطفال واعمارهم السنية المختلفة، وما يتناسب في التوجه لذائقتهم الفكرية المحدودة فضلا عن ان الفضائيات المعنية استعانت باللغة الام في تمرير برامجها دون وجود وسائل مناسبة في المقابل لشرائح واسعة من الاطفال الذين يجهلون التكلم او الكتابة بهذه اللغة نتيجة استقرارهم ببيئات شمولية، ثم تدع لتعلم اللغة او سبيل اتقانها بشكل مناسب وتام كما يتوجب الالتفات لا الى اللغة فحسب بل قدرة المواد الترفيهية في التوجه سعيا لإدراك ومفاهيم الاطفال من خلال استخدام برامج نوعية تتناسب بالشكل الملبي للذائقة الفنية للطفل في اعداد البرامج او الاغاني..

وقد استنكر الكاتب المصري (اشرف ابو اليزيد) في احدى الندوات التي اقامتها مجلة (العربي) الكويتية والتي اهتمت بتسيخ الثقافة العربية في ظل وسائل الاتصال، وقد وثقت المجلة تلك الندوة بإصدار متفرد حيث نشر (ابو اليزيد) في سياق الكتاب المذكور وذلك في الصفحة ٢٠ بحته الموسوم (المحتوى الثقافي العربي لبرامج الاطفال في القنوات التلفزيونية) والذي ناقش من خلاله التعقيد الجاف لبعض البرامج التي بثتها مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي خصوصا في تحديده بانتقاد البرنامج المعروف (افتح ياسمسم) المنتج من خلال تلك

المؤسسة، منوها الى فكرة البرنامج الاصلية والمقتبسة من برنامج امريكي ..

فقد اشار (ابو اليزيد) الى ان البرنامج بنسخته المعربة المقتبس عن البرنامج الاصيل انكر ابراز الاهداف الاسلامية مشيرا الى ان ما يزيد الطين بلة بحسب قوله ان مقدمي البرنامج هم من نوعية الممثلين الهابطين او الاستعانة براقصة ماجنة تظهر امام الاولاد بصورة مبتذلة بكامل تبرجها..

ولا يكتفي (ابو اليزيد) بإبراز ملاحظاته النقدية نحو هذا المحتوى الموجه للأطفال بل يستغرب اقحام شخصية رجل دين مسيحي باستخدامه للصليب في احد المشاهد الخاصة بحلقة من الرسوم الكارتونية التي تحمل عنوان (مغامرات نوال) معربا بشكل ساخر بان هذا الامر مرتبط بتعاون مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك مع مؤسسات التنصير على حد قوله..

وهذا الامر منشور بالفعل في الكتاب الذي ذكرناه سلفا حيث يستطرد الكاتب للحديث عن تأثير ابراز صليب على صدر رجل دين مسيحي على عقيدة ابناء الاسلام في حرف الاستعانة والاستغاثة بالله تعالى وكأنه يوارى تلك الاشارات لاعتبارنا ككفرة، وللمفارقة وانه في ذات

الموضوع الذي يثيره (اشرف ابو اليزيد) يتحدث بالمقابل عن قصور من الجانب العربي في انتاج مواد اعلامية تقدم الحوار مع الاخر دون تكفيره والغاء حقه في التعايش المشترك ..

وما زلنا في محور النظرة القاصرة التي يبرزها بعض الكتاب ففي كتاب (اسئلة الهوية والتسامح وثقافة الحوار) الصادر عن مجلة (دبي الثقافية) في كانون الاول / ديسمبر ٢٠١٥ يتحدث كاتبه الدكتور (يوسف الحسن) مشيرا الى اعتراضه على قول احد القساوسة (بحسب الكاتب) حينما ذكر الاخير، بان الامارات تسامحت مع المسيحيين حينما سمحت لهم ببناء كنائس لهم مشيرا بان وجهة نظره من خلال الاعتراض جاءت على معنى التسامح المحدد وهو النابع من موقف الدولة الخليجية التي تقرر باعتراف دستوري بحث الاجانب في المجتمع عبر تمتعهم بحقوقهم وحررياتهم المقررة في المواثيق الدولية المرعية، ومن بينها حرية القيام بشعائر الدين باعتبار ان الحريات الدينية حسب وجهة نظر الدكتور الحسن هي حقوق انسانية تقرررها الشرائع الدينية نفسها..

وهذه النظرة الملتبسة والتي يبرزها سواء (اشرف ابو اليزيد) او الدكتور (يوسف الحسن) في سياق ما دوناه تثير الكثير من التساؤلات حول دور الاعلام وتبنيه

المحتوى المطلوب في تنوير عقلية الآخر وابرار وترجمة الدور النهضوي له دون الوقوع في الاشارات المتعلقة بما يثير الوقوع في الكثير من المسائل ذات الاشكاليات مثلما هي القضية التي تثيرها الاشارة الى الجماعات التبشيرية والتي تمحورت قضية ابو اليزيد ازاءها..

وهناك مخاوف جمة اثارها تلك الجماعات حينما تسترت بغطاء القضايا الانسانية لتمرير اهدافها، ومنها الحركة التي ابرزها الالباء الدومنيكان حينما حطوا رحالهم بمدينة الموصل فكانت هنالك الكثير من المخاوف ازاء ما قدموه من بصمات على واقع المجتمع الموصلي ومن بينها ارتقاءهم بالواقع الثقافي، من خلال جلبهم لأول مطبعة وطبع الكتب ولا يقتصر الامر على هذه القضية فحسب بل كانت مخاوف الموصليين تبرز حينما سعى الالباء لتدشين ساعتهم التي اعتلت البرج المنتصب في المدينة القديمة، حيث كانت تلك الساعة مهداة من ملكة فرنسا اوجينية زوجة نابليون الثالث للآباء الدومنيكان كون كنيسة اللاتين كانت مقرا لديرهم ونظرا لجهودهم التي بذلوا في تقديم العلاج وتوزيع الادوية والأغذية لأهالي الموصل بعد ان فتك مرض التيفوئيد خصوصا في السنة المعروفة بسنة الليرة والتي كانت ما بين عامي ١٨٧٩ و١٨٨٠..

برج الساعة الذي انتصب في المدينة عام ١٨٨٢ وبالتحديد في تموز من العام المذكور مر بالعديد من المحطات التي افها الموصليون وترسخت الكثير من الحكايا حوله، وسنورد بعضا منها فقد أصبح البرج من الحواضر التاريخية الموصلية التي تحكي بصمات المسيحيين وشواهدهم الإنسانية التي برزت في مجتمع المدينة والتي انعكست بالإيجاب على الواقع الثقافي والاجتماعي وقد اصبح فيما بعد مقرا لأول مطبعة دخلت المدينة..

وكانت المطبعة الحجرية التي استقطبها الاباء الدومنيكان من اجل نشر المعرفة في صفوف الموصليين وكان ذلك بين عامي ١٨٥٦ و ١٨٥٧ وكانت اول منشوراتها عن (اصول النحو في اللغة العربية) للاب الخوري يوسف داود كما كانت من بين إصدارات المطبعة اول مجلة عراقية صدرت باسم (اكيل الورود) في عام ١٩٠٢..

وحينما استقرت الساعة في برجها المعروف، وفي وسط بيئة متخلفة وغير متعلمة من اغلب الموصليين الذين اعتقدوا ان في برج الساعة، من يراقبهم ويتجسس على خفايا العوائل التي تستقر في محيط البرج، فطالبوا بضراوة الى تهديم البرج او ايقاف دقات الساعة لهذا السبب..



وهذا يعيد لأذهاننا ما ابرزه ( فرانسيس فوكاياما ) بكتابه الشهير(نهاية التاريخ والانسان الاخير) الذي صدر بترجمة عربية في عام ١٩٩٣ مشيرا الى ان العالم الاسلامي سيكون الخصم الجديد للغرب بعد انهيار المعسكر الشيوعي كما كانت هنالك مقولة لجيمس ريستون وهو كاتب غربي عبر كتابه (مقاتلون في سبيل الله/ صلاح الدين الايوبي وريتشارد قلب الاسد والحملة الصليبية الثالثة) حيث عبر ( ريستون) الى بداية تحول العقلية الغربية، وثقافتها الى نوع ما او قدر ما من الموضوعية في نظرها الى نفسها وتاريخها والى الاخر المختلف وتبين اهمية الحوار بدلا من الصراع ما بين الحضارات / الثقافات..

ولعل اهم المعطيات التي ترجمت تلك الرؤى ما ابرزته سيدة انكليزية تدعى (السيدة غريفيث) في كتابها الذي حمل عنوان (الموصل في مطلع القرن التاسع عشر) حينما كانت ضمن بعثة طبية تقدم خدماتها لأهالي مدينة الموصل في تلك الفترة بالتحديد ..

واشارت الى البون الثقافي الشاسع بين العقلية المحافظة التي كانت تسود هذا المجتمع وتدعوه للانغلاق في الوقت الذي كان الانفتاح الغربي لا يماثل بتاتا مثل ذلك الانغلاق الذي ذكرناه ومن ابرزها محطات البعثات الطبية التي باشرت بتأدية اعمالها مع المزيد من الهواجس

والمخاوف التي كانت تبرزها بان تلك الاعمال مغلقة برسالة تبشيرية..

اما الفرصة التي تتاح لنا بمقارنتها ما اشارت اليه الكاتبة البريطانية المعروفة (اجاثا كريستي) حينما كتبت مثل تلك المؤشرات حول المجتمعات المغلقة والملئية بالهواجس في مذكراتها الخاصة عن ايام مصاحبته لزوجها الأثاري في قيادته لبعثات التنقيب عن الاثار في العراق وسورية وكان عنوان الكتاب هو (تعال قل لي كيف تعيش) والصادر بترجمته العربية عن دار المدى في عام ٢٠١٦ ..

ومن بين الصور التي انتجت عن رؤية تلك العقلات بتباينها ما ابرزته الصحافة بشكل رئيسي وذلك بحسب ما ذكره الكاتب (اندرو حبيب) في كتابه المعنون (الحوار الثقافي والاعلامي بين الشرق والغرب -تحليلات واليات) والحائز على جائزة مجلة دبي الثقافية للإبداع عبر محور الحوار مع الغرب في عام ٢٠١٢ ..

وصدر الكتاب عن المجلة ضمن سلسلة اصدارتها الثقافية في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٢٠١٥ حيث التفت (حبيب) الى ان الصورة تبدو مشوهة ما بين الغرب والعرب نتيجة ما تبرزه كما اسلفنا الصحافة ووسائل الاعلام فضلا عن ما تثيره المناهج الدراسية..

ويعزو هذا باعتقاد الباحث، الى نتاج الادلجة الثقافية البعيدة كل البعد عن المضمون الحقيقي لكلا الثقافتين سواء اكانت العربية او الغربية رغم ان صورة الغرب عن الشرق ليست بالنمطية او مقولبة بشكل واحد فحسب بل هي متنوعة وغنية وحيانا متناقضة نتيجة وجود اكثر من نظرة تمثل الغرب والمؤسف بان هنالك من المثقفين العرب من يرسخ تلك الصورة المشوهة عن الغرب باعتماد بعض الاخبار التي تتصف بالبعد عن واقعيتها والاهتمام باثارها والصاق صور بعيدة كل البعد عن الواقع لغرض تمريره على كونه الصورة الحقيقية للغرب بتقليديته ..

ويورد الامير شكيب ارسلان في كتابه المعنون (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟) وقد صدر الكتاب بطبعة خاصة عن مجلة الدوحة الثقافية وعن نسخة محققة من قبل الشيخ حسن تميم ومصادر اخرى، حيث عزا ارسلان اعظم اسباب هذا التأخر الى العلم الناقص الذي يحسبه الكاتب بانه اشد خطرا من الجهل البسيط لان الجاهل اذا قيض الله له مرشدا عالما اطاعه ولم يتفلسف عليه فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بانه لا يدري..

لذلك تبدو التحديات واردة في هذا الحاضر نتيجة البون الذي تحكمه اليات الحوار الثقافي سواء ما بين الشرق والغرب، والتي تجعل من توحيد الرؤى عبر اعلام محايد

وهو يبدو كضرورة حتمية نحو تبلور الوسيلة الانسب في التواصل ما بين شعبنا داخل الوطن او خارجه ..

ومادام الاعلام يمثل الوسيلة المهمة من وسائل الثقافة فلا بد من استثمار ما يملك الاعلام من وسائل خاصة به لتمكنه من مخاطبة اية شريحة لإثارة اهتمامها وشدها نحو الجانب الاكثر حيوية سواء نحو الابعاد القومية والتاريخية او ينابيع الفكر والادب والمعرفة وخلق توجه عام للاهتمام بمعارف العصر وافكاره وتفاعلاته، حيث اصبحت الثقافة في راهنها محدودة بتقديمها بالطريقة التقليدية في استقطاب الحضور، عبر المنابر والجلسات الجماهيرية التي تعد الجسر بين الثقافة والمتلقي لتصبح فيما بعد وسائل الاعلام الجانب البديل في تجسير تلك الهوة..

وعلى ضوء تلك الاشارات نشير الى ان الثقافة السريانية وبسبب محدودية معرفة الاخر والالمام باللغة السريانية، فقد اصبحت تلك الثقافة متلكئة في مواكبة التطور الثقافي بين ثنائيات مرت بها الثقافات الانسانية، وانقسامها بين ثقافة الصورة والصوت في الفضائيات ودورها المطلوب وبين ثقافة الحرف وقدرته على المشافهة والسماع او بين الورق والاحبار..

وهذا كله يدفع الى الاشارة الى الاعلام وقدرته ليس للعب دوره السلطوي كسلطة رابعة بالمفهوم المتداول والمتعارف عليه فحسب بل الى اعتماد الوسائل الاعلامية كقوة اولى لرفد وسائل التواصل بالتقنيات المتنوعة.

لذلك علينا ان نقوي دور لغتنا وابرز الثقافة والادب المرتبطتين بتلك اللغة عبر تعدد وسائط الاتصال الحديثة او التداول عبر هذا الامر بلغة عصر العولمة، او الاشارة الى التهديد والمخاوف والاطار المحدقة بها من خلال ارتباط قوة اية لغة بقوة المتحدثين بها سواء بما يتعلق بالبعد الحضاري او الاعلامي ..

ومادام ان هنالك ما يشير الى مخاوفنا بشأن حضارة اللغة السريانية والتي تواجه اشكالا مختلفة من التهميش ومن بينها محاولات نزع ابناء تلك اللغة من جذورهم عبر تزييف الهجرة وخصوصا في خضم المحنة التي عاشوها عبر ما عاشوه في صيف عام ٢٠١٤ لذلك يبقى الاعلام هو السلاح الاقوى والذي يعول عليه في انهاض اللغة وحيائها ليس في اوساط ابنائها الاصليين فحسب بل في اوساط اخرى يمكن ان تنتشر فيها هذه اللغة لتوسيع دائرة الادب والثقافة التي تتيحها تلك اللغة..

وبالمصارحة والمكاشفة المطلوبة نجد ان الافق الاعلامي الخاص بهذه اللغة يبدو بعيدا عن توظيفه بالشكل الملبى للطموح عبر تأطير الفضاء الاعلامي واستثماره كأداة لنشر تلك اللغة بتقنيات حديثة تواكب العصر، وترسيخه من خلال المواد الاعلامية القادرة على اشاعة وسائل الادب والمنجزات الثقافية من خلال جعل المتابع والمتلقي في وسط تلك الجلسات اغنى بالنقاش المعرفي والعمل على عرضها لإتاحتها برغم انها تعارض اقامتها في اوقات غير مناسبة او بعدها عن مواقع استقرار هذه الشريحة..

## **الفصل الرابع**

### **الرؤى والاهداف المطلوبة**





في خضم ما عاشه ابناء شعبنا خصوصا ازاء محنة النزوح التي مروا بها طيلة الاعوام السابقة، رغم انه في خضم الفترة السابقة تحقق تحرير تلك المناطق التي نزحوا منها، الا ان في المقابل فان دور الاعلام الخاص بهذا المكون شابه الكثير من التحديات مع الاخذ بنظر الاعتبار، عدم مواكبة هذا الاعلام للتطورات التي طالت قطاع الاعلام بشكل عام، فشكلت التقنيات الحديثة وابرازها واتاحتها بمثابة تحد جديد واجهته جموع النازحين سواء منهم الشريحة التي فضلت الاستقرار في مناطق بديلة في داخل الوطن او بما يتعلق بالآخرين ممن فضلوا الاستقرار في محطات مؤقتة، ريثما تسنح لهم الفرصة للاستقرار في دول اختاروها لقضاء بقية حياتهم فيها فواجهوا اول ما واجهوه وهم في تلك المحطات المؤقتة وفي خضم محنة الانتظار ريثما تصدر لهم مكاتب (اليوان) فيزا الاستقرار في احدى الدول التي اختاروها فكانت محطات التواصل البديل لمد جسور التواصل بينهم وبين الوطن الذي اعتقدوا انه لفظهم من خلال عجزه عن توفير الحماية لهم وممتلكاتهم التي استبيحت في غفلة من الزمن..

وكانت محنة النزوح فرصة تاريخية وجد الكثيرون مواجهتها بالمزيد من الحكمة والشجاعة من اجل تجاوز تلك المحنة فالكثير من الوسائل الاعلامية بقيت عاجزة عن توفير مثل تلك الصور المناسبة ومنها توفير فضائية يراد منها ابراز خطاب الحكمة لتبني هموم شعبنا واطمئنته للراي العام العالمي..

فبقيت الموسيقى الحزينة مع مشاهد تدور فيها الكاميرا لترصد عوائل تتلظى بحرارة اب (اغسطس) من العام ٢٠١٤ وهي تفتersh حدائق وساحات الكنائس والمؤسسات في مدينة اربيل بديلا عن الصورة التي ابتغها الاعلام لإبراز المسؤول عن تلك المحنة في الوقت الذي كانت فيه كل وسائل الاعلام التي تشكل المشهد العام غير ملتفتة لمعاناة تلك العوائل او ابرازها بالصورة التي يمكن ان توفر الراي المناسب المقابل لصرخة النائبة في البرلمان العراقي فيان دخيل وهي تترجم معاناة ابناء مكوناتها الايزيدي وهو يتعثر في شعاب جبل سنجار هربا من قطعات تنظيم الدولة الاسلامية وهي تزحف نحوه في ذلك التوقيت المماثل لمحتنا مع الاخذ بنظر الاعتبار عدم امتلاك ذلك المكون لفضائية او وسيلة اعلام خاصة به تسعى لان تكون لسان حاله وتؤشر مدى المحنة التي عاشها ابناء المكون المذكور..

وتعود المشاهد مجددا في عمليات التحرير، لترصد تلك الفضائية مشاهد الخراب والتدمير مع موسيقى جنائزية كأنها تدعو ابناء شعبنا لتوديع البلد ودفعه لاختيار خيار الهجرة، والمفارقة بان من يقوم بتصوير تلك المشاهد سواء من خلال حمله لكاميرا التوثيق او الوقوف امامها بدا وكأنه يائس من تلك المشاهد التي ابرزها في تغطياته لتجده بعد ايام قليلة من تلك التغطية الموسعة يطرق باب مكاتب (اليو ان) في الاردن من اجل الحصول على فرصة الهجرة كأقرانه من الاف المواطنين ممن وجدوا ان فرصهم في العيش في الوطن بدأت بالتضاؤل..

وقد يقول قائل بان تلك الصور المتلفزة التي اهتمت الفضائيات بإبرازها والتي غطت صور الدمار والخراب الذي لحق ببلداتنا لم تكون مخصصة للمشاهد المسيحي ممن يؤسفه مثل هذا الدمار سواء من قطن تلك المنطقة او هذه البلدة بل برزت تلك التغطية لفضح ممارسات التنظيم الذي لم يقصر على الاطلاق في ابراز نشاطاته على الواقع الافتراضي ومنها صور تخريبه للكنائس والحواضر المسيحية وتدميره لبعضها مثلما هو الحال مع التقرير المصور الذي بثه في حضرة دير مار كوركيس بحي العربي في الجانب الايسر، حينما صور التنظيم طرق قلعه

للبصان وتخريبه للتماثيل والقائه للناقوس من اعلى سطح الدير بالإضافة لصور اخرى بنها في تقرير اخر عني من خلالها بطريقة تفجيريه للجب التاريخي الواقع قرب دير مار بهنام في منطقة الخضر والبساطلية التابعة لناحية النمرود شرق مدينة الموصل او من خلال ما ابرزه لرفع اكبر علم للتنظيم حينما انشأه على واجهة كاتدرائية مار افرام فلذلك لا يستبعد ان تسلك اي فضائية نفس اسلوب التنظيم من اجل ابراز تلك الصور التي تكون ذات دافع لكثيرين من اجل اختيارهم لخيار الهجرة وترك البلد..

وفي المقابل لابد لوسائل الاعلام خاصة تلك التي تعنى بالخطاب المتلفز من ان تسعى لان تكون مادتها الاعلامية بعيدة عن صور الخراب والدمار بل بالعكس تبني خطاب التفاؤل والتشجيع فقد تم اتخاذ الكثير من النماذج التي تعبر عن واقع الاعلام..

فمن المؤكد ان امر ركوب القطار او التخلف عنه او مقاومة حركته، كلها خيارات غاية في الجدية والخطورة سيترتب على كل خيار من تلك الخيارات المذكورة تداعيات ونتائج واسعة وشاملة ومتباينة بدرجات ملموسة..

وقد وظفنا في التغطيات الخاصة بوسائل الاعلام ازاء ما جرى لبلداتنا والمناطق الخاصة بأبناء شعبنا استخدام تلك الوسائل المنطق القديم او الكلاسيكي الذي لم يعد كافيا

لتمثيل الذات ولا للمواجهة ولم تعد مجرد المواجهة والتحصن كفيان لأداء دور حضاري وتحقيق موقع متقدم انسانيا ومجرد التحصن هو دور تتقنه كل الثقافات الضعيفة فيما يبقى السؤال مرهونا بكيفية اثبات موقع الاعلام بصور تواصله الحديثة لترسيخ ثقافتنا المدعومة بالإنتاج الفكري والمعرفي الذي من الممكن من خلاله ابراز الصورة واخراجها والمواجهة بها فالتحديات التي واجهتها وسائل الاعلام دفعتها لاتخاذ الموقف المناسب امام جمهورها المتواصل معها..

وصار لزاما ان تغير تلك الوسائل طريقة استقطابها وابرازها لرسالتها الاعلامية عن طريق الاستعانة بالمفكرين والمثقفين لمواكبة التطورات التي تشهدها فضاءات الاعلام بمزيد من جهود التدريب والتعلم واكساب الدراسات التي تلتفت لجهد التطوير بناء على اعتماد خبرات اكااديمية لا تركز على اسلوب بال وكلاسيكي، يجد نفسه متوقفا امام نمط قديم من انماط الخطاب الاعلامي ليؤكد دافع الياس والعجز الذي شبع منه مكوننا المسيحي بل على العكس اضافة جوانب من الحركية والحرفية في اعتماد برامج حوارية او تستهدف تمتين العلاقات ما بين المؤسسات والاحزاب رغم ان الفضائية التي تعمل على هذا الامر

مرهونة بقالبها السياسي دون وجود تحرك مؤثر في هذا الجانب..

وفي هذا الخصوص علينا عدم التركيز على جهود الفضائيات لهذا الامر الذي ذكرناه، مع الاخذ بنظر الاعتبار عجزه عن الوصول لشرائح واسعة ممن تركت البلد واستقرت في بلدان تختفي معها مؤشرات الاستعانة بقمر صناعي يتيح لها مشاهدة تلك القناة او غيرها من القنوات..

فذلك تبرز الحاجة للمواقع الالكترونية في ابرازها الدور المطلوب والحيوي من خلال تبني مواقع الشبكة العنكبوتية وتوفير التمويل المناسب لها لتضطلع بالعمل كصفحة الكترونية كما قامت بهذا العمل صحيفة ايلاف الالكترونية واستطاعت ان تكون لها جمهورا واسعا من خلال سياستها المعتمدة على اتاحة المعلومة وعدم حجبها لأسباب وذرائع شتى والاستعانة من خلال هذا الموقع بفريق اعلامي نخبوي لا يقف عند معوقات التحرير وابراز مادته الصحفية والاعلامية بالكثير من المغالطات لابل اعتمادها كوسيلة خبرية تتهافت عليها وسائل الاعلام الاخرى لإبرازها في سياق تغطياتها ..

وتبقى مسألة اكتمال اي فريق مناسبة للأشراف على تلك المواقع مرهونا بجيش من المحررين والفنيين ممن

يعملون على تواصل دائم للتحديث المستمر وهذا ما التفتت اليه جريدة الشرق الاوسط السعودية التي لم تكتف بطبع نسخها الورقية في عدد من مطابع العالم واتاحتها لتلك النسخ الورقية في متناول القارئ سواء المستقر في مدن اقليم كردستان او في قارات العالم المختلفة بل التفتت الى دور الاعلام الالكتروني لتعلن عن موقعها الذي يدار بصيغة تفاعلية، حيث يجري تحديث الاخبار بشكل اسرع مقارنة بالمواقع الالكترونية الخاصة بأبناء شعبنا التي تحدث بشكل ابطا وبشكل يومي مع الاخذ بنظر الاعتبار ان هنالك بعض الايام تمر دون اجراء اي تحديث يذكر على الاخبار الرئيسية او التي تتصدر واجهة الموقع المذكور..

وبالالتفات لدور الاعلام الالكتروني لابد من جهود استثمارية تعمل على تجسيد مثل تلك المواقع فالعمل الاستثماري افضل من ان يكون الموقع واجهة لاحد الاسماء التي تعمل على ابراز رسالتها الاعلامية المحددة ومحاباتها لهذه الجهة على حساب الاخرى، بل يبدو الموقع الالكتروني فرصة مهمة لا للإشارة الى كنيسة معينة بحد ذاتها او مؤسسة دون غيرها بل تغطي اخبار الكنائس والمؤسسات بشكل موسع ومحاييد ومهني، فحتى الرسائل الاعلامية التي تبرزها المواقع التي تعد واجهة ولسان حال بعض المؤسسات الكنسية يشوبها الغموض والضبابية في استخدام

لغة التهديد و المقاضاة والتي اصبحت تشكل الفرصة  
الاناسب لإخراس الالسنه الاخرى وتعزز التهديد والاحطار  
المحدقة برسالة الاعلام الحر..

ومع دعوتنا للمستثمرين من رجال الأعمال في خارج  
العراق لتبني مثل تلك المبادرات وابرار تلك المنافذ  
الاعلامية فحينها سيكون دور الموقع غير محدد بصورة  
تقديمه للخطاب الاعلامي الذي يمكن جهود الوحدة في ظل  
الانقسامات والاتهامات التي تشكل مادة رئيسية بل يسعى  
مثل هذا الموقع للبحث عن فرص الوحدة سواء بين  
الطوائف والكنائس والمؤسسات المختلفة من اجل ان يكون  
دوره راسخا في توحيد تلك النظرة وتقديمها عبر وسائل  
الاعلام الاخرى ممن تشكل الواجهة ذات الشعبية الاوسع  
وتخاطب الشرائح بكل لغاتها ولهجاتها..

كما ستبرز من خلال هذا الموقع فرصة ابرز لغتنا  
وسبل اتاحتها ليس على صعيد من حرموا من اتقانها من  
ابناء شعبنا فحسب بل اتاحتها للمكونات الاخرى لتكون لغة  
تواصل مهمة يسعى من خلالها الاخرون على الاطلاع على  
الثقافة السريانية وآدابها وعلومها وبذلك يستحضرون  
جهود العلماء والمفكرين في القرون المتوسطة ومنهم  
العلامة ابن العبري الذي عد دائرة معارف القرن الثالث عشر  
في ابراز دور العلوم والمعارف وترجمتها فضلا عن دور



المترجم حنين بن اسحق واخرين ممن تشهد لهم الحضارة العربية بالكثير من العرفان لدورهم في نقل علوم العالم ومعارفه عن طريق اللغات الاولى..

وستكون فرصة الاستعانة باللغة واتاحتها بمبادئها الميسرة فرصة هامة لأطفالنا خصوصا ممن يعيشون في العالم العربي ويعانون من عدم ملائمة المناهج وانكارها لسبيل التعلم بهذه اللغة فحينئذ سيكون للموقع دور في ابراز المقترضات القيمة والعلمية والتربوية وليس باتخاذ الشكل الجامد والضبابي الذي تتبناه المناهج العلمية ممن وضعها مختصون ويقومون بإتاحتها للدراسين بل باعتماد شخصية كارتونية لاستقطاب الاطفال او البحث عن قرية افتراضية يجري من خلالها تحريك الشخصيات بأداء اسلوب حوار يحاكي ما يجري في المسلسلات الكارتونية ويبقى الطفل في اثاره تامة لمعرفة اسلوب النص والحوار ومعرفة الوقائع التي تتيحها تلك الشخصية من هذا النص خصوصا لما يملك الطفل من حب الاستطلاع والغوص في عوالم مخفية عن ذهنه وادراكه ..

وهذا يقودنا للبرامج التعليمية التي تتبناها بعض المؤسسات لإتاحة اللغة الانكليزية بصورة مبسطة وفي توظيف حروف هذه اللغة بأشكال كارتونية ملائمة لاستيعاب ذهنية الطفل فحينها ستكون الفرصة مواتية

لاستثمار مثل تلك الدروس لإتاحته بلغتنا وتقديمها للمتلقي وهذا لا يجد قبولا واسعا ما لم تتم الاستعانة بالأسرة فدافعها وتشجيعها سيكونان الطريق الرئيسي لانطلاق خطوة التعليم الاولى والتشويق اللازم فعلى عاتق الاسرة يقع غرس تعليم اللغة وتحبيبها لأطفالهم مع الاخذ بنظر الاعتبار ان تكريس المنتج المعرفي المتاح للبيئة التعليمية الخاصة بجو الاسرة سيكون بموازاة الوقت الذي يمكن ان يمضيه هذا الطفل في قاعات او صفوف مدرسته مع فرص اتاحة زيادة جرعة تلك الحصص التي يتلقاها او من خلال التواصل مع تلك المواقع الالكترونية التي يمكن ان توفر سبل التعليم المطلوبة وتمد جسور التواصل بين الاهالي و بين الفئة المستقبلية ممثلة بذهنية الطفل تماما مثلما يتعامل الغرب عبر بعض الدول المتحضرة في الاستعانة بالمنتج الثقافي وتوظيفه لخدمة العلم فهذا الامر ملك الجميع وتوسله بالمادة التي تبدو متاحة في صفوف المستثمرين بهذا القطاع.

وغيرتهم ودافعهم الذي يكون المرتكز الرئيسي بتنمية تلك المواقع لتكون على قدر الواجب المناط بها او في التزامها ومسؤوليتها الاعلامية..

ختاما تبدو تنمية المواقع الالكترونية ضرورة لتنسيق المبادرات وتوجيه جهودها على المستوى الخاص بأبناء

شعبنا ودمج فرص تعليمها بالإضافة لرسالتها الاعلامية كغاية مهمة في كل المناطق التي يستقر فيها هذا المكون وقد تسعى الطريقة المتاحة كطريقة مثلى بدمج التقنية في التعليم. والتعلم كمحاولة للتعرف على الوسائل المتبعة في التعليم باطار العلاقة المنهجية او بين التحصيل الدراسي بشقيه العلمي والاكاديمي والتكيف مع تغيرات العصر وتطوراته المعلوماتية المتعلقة بالشأن الخاص بالاتصالات والتواصل بتوفير القدرة الذاتية لتلبية متطلباته..



## المصادر

١. الثقافة العربية في ظل وسائل الاتصال الحديثة - كتاب مجلة العربي ج٢-١-أكتوبر ٢٠١٠
٢. الاعلام الثقافي (جدليات وتحديات)عزام ابو الحمام - دار اسامة - عمان ٢٠١٠
٣. اسئلة الهوية والتسامح وثقافة الحوار -د.يوسف الحسن - كتاب مجلة دبي الثقافية ٢٠١٥
٤. الجزيرة والخليج العربي - كتاب العربي ج١- اكتوبر ٢٠١٣
٥. طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ -د.محسن محمد حسين -٢٠١٢
٦. اخلاقيات الاعلام الجديد- د. رحيم مزيد ٢٠١٣
٧. المسيحيون في العراق - د.سعد سلوم -٢٠١٤
٨. الحوار الثقافي والاعلامي بين الشرق والغرب -اندرو حبيب- مجلة دبي الثقافية ٢٠١٥
٩. تطور الرواية الحديثة - جيسي ماتز - ترجمة لطفية الدليمي - دار المدى ٢٠١٦
١٠. فيزياء الرواية وموسيقى الفلسفة - ترجمة لطفية الدليمي - المدى ٢٠١٦

# الفهرست

- مقدمة المؤلف ..... ٧
- الفصل الاول  
الصحافة السريانية في بداياتها ..... ١٥
- الفصل الثاني  
صورة الشخصية المسيحية في الثقافة العراقية ..... ٣١
- الفصل الثالث  
وسائل الاعلام البديلة في ظل نزيف الهجرة ..... ٨٩
- الفصل الرابع  
الرؤى والاهداف المطلوبة ..... ١١٩
- المصادر ..... ١٣٤



## سامر الياسر سعيد

هذا الكتاب يستهدف نقد وسائل الاعلام الخاصة بابناء شعبنا، وبلورة افكار جديدة بما يتلائم مع ثورة الاتصالات، وتقنية تداول المعلومات خصوصا وان محنة النزوح افرزت اعدادا هائلة ممن استقروا خارج الوطن، وباتوا يبحثون عن اي منفذ مناسب، للتواصل مع اقربائهم، ممن فضلوا الاستقرار وتكبد المعاناة، قبل ان تبلغ مطامحهم، افق العيش باستقرار وامان، بعيدا عن كل ما يعكر صفو تلك الحياة .. وقد عاشت معي، افكار الكتاب طيلة الثلاث اعوام السابقة، متاملا بالكثير من الاخبار والتحقيقات التي ابرزتها وسائل الاعلام لاجد قصورا كبيرا بتلك الوسائل عن طريقة ايصالها للمحنة التي عاشها ابناء شعبنا..